المشرق

الآثار المصريَّة في سنة ١٨٩٨

للاب بولس جوون اليسوعي

يسرُّنا ان نشاهد في عصرنا هذا انَّ العلوم لم تقتصر على الاكتشافات المادّيَّة التي من شأنها ان تزيد الناس رغدًا وتنعُّمًا بل اتَّسع ايضًا نطاقها من قبيل الدروس التاريخيَّة والمعارف العقلية التي تميط الحجاب عن احوال الامم القديمة وتبعث من رمسهِ ما رُمِس في مدافن النسيان

في هذه السنة وحدها كم عاينًا في مصر من السيَّاح الذين طافوا جميع انحائها وزاروا آثارها القديمة المبثَّة على مدى ضفَّتي النيل من القاهرة الى اسوان. فانَّ عددهم أربى بكثيرٍ على السنين المتصرمة. فكانت الذهبيَّات الشراعية والبواخر الكبرى من جمعيَّات كُوك (Cook) وجاز (Gaze) وسفن الشركة الاميركية (American Line) فضلًا عن مراكب البريد كلُّها تغصُّ بعدد القوم السَّفْر

أجل انَّ مناظر وادي النيل البهية مع ما يكتنف بهِ من سلسلتي الجبال العربية والليبية شمالًا وجنوبًا لجديرة بان تجتذب عددًا غفيرًا من الرحَّالين والمسافرين. لكنَّ اقوى داعٍ لهذه الرِحَل والاسفار انَّما هي الآثار العجيبة كالهياكل ومدافن الفراعنة التي لم يستطع ان يجني عليها الدهر على تمادي عهدها فبقيت سالمةً صحيحة يحميها ثوبٌ من الرمال دفعًا لمطامع الجهلَة وصونًا من همجية بعض الغُزاة والعوارض الجويَّة

نظر عمومي في الاكتشافات السابقة

كان أوَّل من كشف النقاب عن هذه الآثار الجليلة العلاَّمة ماريت بك الفرنسي وكان الخديويَّان المخلَّدا الذكر سعيد باشا واسمعيل باشا قد عهدا اليهِ بهذه المهمَّة الجليلة فأتى بها.

يكن في حسبانهما. ومذ ذاك لم تزل الاكتشافات العجيبة تتوالى متعددة سنة فسنة لا تكاد المجلات العلمية تني بجثّ احداها لتصف خواصها ومكانها من الاهمية حتى تعقبها اخرى اعظم منها شأناً وارفع مقاماً

في سنة ١٨٨٧ كان المسيو مسپرو مدير العاديّات المصريّة ومنظّم متحف بولاق وقف في مدافن الاقصر (ثيبة القديمة) على مخبإٍ كانت أُودعت فيهِ جثث كثير من ملوك الدول الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين نُقلت الى ثمَّ في ايام المخاوف لئلّا يُستهان بها ويُبخس حقُّها. وكان في جملة هذه الاجساد موميا ذلك الفرعون الطائر الشهرة رعمسيس الثاني مضطهد بني اسرائيل يُستدلّ من النظرِ الى اسارير وجههِ على ما كان عليهِ في حياتهِ من العتوّ والغطرسة

وفي سنة ١٨٨٧ وُجدت في مدينةِ تلّ امرنا كتابات عجيبة اطلعتنا على اسرار تاريخ مصر وغيرها من البلدان في القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل المسيح. وتلّ امرنا هذه كان اتّخذها امينوفيس الرابع حاضرةً لهُ. وامينوفيس هو احد فراعنة الدولة الثامنة عشرة عاش في اواخر القرن السادس عشر. وكان معروفاً بالاستبداد وضعف الرأي فنجا بنفسهِ مع آل دولتهِ الى تلّ امرنا فراراً من سلطة كهنة امون. والكتابات المذكورة عبارة عن الواح عديدة رُقمت بالحروف المسمارية تحتوي قسماً كبيراً من مراسلات امينوفيس الرابع وكثيرٍ من ملوك اسيَة وامرائها المتولّين الامر من سواحل سوريَّة الى بابل

ولمّا كانت سنة ١٨٩١ اكتشف المسيو غريبو خَلَفُ المسيو مسپرو على نظارة العاديّات المصريّة مخبأةً اخرى في مدافن الاقصر جُعلت فيها اجسام جمّ من كهنة امون وذلك في عهد الدولة الثانية والعشرين لمّا تغيّر الفراعنة على هؤلاء الكهنة وحاولوا قطع دابرهم ففرَّ منهم كثيرون الى الحبشة واقاموا ثمّة دولةً مستقلّةً تُعرف بهم

وما مرَّ على هذا الاكتشاف العظيم الشأن السنتان او الثلاث سنوات (١٨٩٤ و١٨٩٥) حتى اسعد الحظّ المسيو دي مورغان مناظر متحف بولاق بعد المسيو غريبو على وجود آثار نفيسة في الطبقات السُّفلى من اهرام داشور بجوار سكّارة. أَلَا وهي مجموع حِليّ اميراتٍ مصريّات يرتقي عهدهنَّ الى الدولة الثانية عشرة أعني الى نحو القرن الحادي والعشرين قبل المسيح. وهذه المصاغات يغلب عليها الذهب الابريز وهي دقيقة النقش مُحكمة الصُّنع. ومن غريب الامور انَّ المتاصّين المتفقّدين لكنوز الاقدمين والمتهكين

لحرمة القبور لم يطأوا على هذه المطالب على طول عهدها في خبايا الارض

اكتشافات السنة الجارية

اما السنة الحالية فانها استهلت على الطالع الميمون وكان لاكتشافاتها في الدوائر العلمية احسن وقع والفضل في ذلك لغيرة المسيو فيكتور لوره معلم العاديات المصرية في كلية ليون سابقاً ومناظر ادارة الانتيكخانة الخديوية حالاً . ولا غرو ان قراءنا يتأثرون تفاصيل هذه الاكتشافات بزيد المسرة

١ اكتشافات دندرة

واول ما يجب هنا ذكره ما وجد في مدينة دندرة حيث احرز سابقاً ماريت بك فخراً فاخراً بازاحة الرمال عن هيكل الالهة هتور وكان مغطى بها منذ اجيال عديدة فاخرجه من مكمنه شاهق البنيان محكم الهندسة كأنه شيد من عهد قريب . فعاود في هذه السنة الحفر في تلك الجهات المسيو فلندرس بيتري المعروف بكثرة اكتشافاته القديمة منها وجود المدينتين القديمتين (صان) تانيس ونوكراتيس ومنها الآثار التي وجدها في جهات الفيوم . وكانت غايته من هذه الابحاث ان يستخلص من التراب والردم بيعة قديمة جداً بنيت بقرب هيكل إلهة المصريين هتور . وهي البيعة التي شيدت على الرأي الراجح لذكر شهداء دندرة المشهورين عند الاقباط . وفي اثناء ذلك قد فحص ايضاً هناك العالم المذكور عن آثار قديمة سابقة لتاريخ مصر المعروف . وكان المسيو دي مورغان وقف على شيء منها في نقدات وطوخ . وهذه الآثار تفرق فرقاً كبيراً عن الآثار المكتشفة حتى اليوم وهي ليست بانيقة الصنع بيد انها تنبئ عن تمدن اول سبق عهد الفراعنة

٢ كتابات البهنسا

قد وجد في البهنسا المعروفة عند القدماء باوكسيرنكوس (Oxyrrhyncus) الواقعة في غربي الي بجرية مع مبلة الى الشمال كمية وافرة من قطع البردي المخطوط . اكتشفها العالمان الانكليزيان غرنفيل وهنت (راجع ص ٣٣٢) . ولهذه الكتابات خطارة كبرى فضلاً عن عددها البالغ مضمون ٢٨٠ صندوقاً . كيف لا وهي تشتمل على عدة صكوك ومناشير وكتابات رسمية وطرائف لادباء اليونان واشعارهم والفصل الاول من انجيل القديس متى واقوال الرب المتقولة بتقليد قدماء النصارى الى غير ذلك من الكنوز الادبية التي لا يمكن بعد تقديرها حق قدرها

٣ عاديات اخربة الكعب

وقد عُني المسيو سُومرس كلَرك بحفر اخربة الكعب في جنوبي مدينة إسنة على اسلوب علمي فأتت ابحاثهُ بفوائد جمَّة وقد استخرج الى الآن جملة من العاديات المهمَّة كالتماثيل والآنية وغير ذلك من الآثار

وكلُّ هذه الابحاث قد قام بها بعض العلماء على نفقتهم الخاصَّة غير انَّ الحكومة المصريَّة لا تسهو عن مساعدتهم ادبيًّا وماليًّا وهي تخصّص كلَّ سنة في برنامجها دراهم معلومة توزَّع على العلماء والمكتشفين علاوةً على ما تنفقهُ في سبيل متحفها الكبير

٤ اكتشاف قبرَي الملكين تحوتمس الثالث وامينوفيس الثاني

ولكن قد برَّز بين عديد المكتشفين المسيو لورِه السابق ذكرهُ فكانت اوائل نظارتهِ على العاديَّات المصريَّة متوفِّرة السعد والاقبال. في المحلّ المسمى بيبان الملوك عند الاقصر في مدفن الفراعنة قد اكتشف قبرين جديدين رُمس فيهما ملكان من الدولة الثالثة عشرة وهما تحوتمس الثالث وامينوفيس الثاني

وكان اكتشافهُ لهذين الاثرين الجليلين على الطريقة الآتية انَّهُ قرأ في قدماء المؤرّخين من اليونان « انَّ سيَّاح عصرهم كانوا يزورون اربعين ناووساً من نواويس الفراعنة ». فقابل المسيو لوره هذا الكلام مع موقع قبور ملوك الأقصر فرأى انَّ بين قبرَي الملكين رعمسيس الثالث (عدد ١١) وساتي الثاني (عدد ١٥) فضاء كبيرًا ارتأى انَّهُ محلُّ قبرٍ فيهِ الفراعنة فأمر بان يُحفر هناك ولم يزل مواصلًا لشغلهِ مدَّة ثمانية ايَّام حتى اكتشف قبر تحوتمس الثالث (في ١٢ شباط من هذه السنة)

فكان هذا الاكتشاف داعيًا جديدًا للبحث. وفي الحال وُجد بعد قليل درجٌ أفضى بمن نزلهُ الى دهليز. ثمَّ الى سبع غُرَف نُقش منها اثنتان نقشًا بديعًا. كان الناووس المتضمن جثَّة الملك خاليًا قد فتحهُ المتلصّصون في الزمن القديم ايَّام الدولة العشرين. وكان موميا للملك نُقل الى مدفن آخر كما سيأتي. امَّا الناووس فهو من الحجر الرملي المحبَّب في غاية الحسن قد صُبغ باللون الاحمر. وبقرب الناووس كان تابوتان يحتوي احدهما جسم الملكة والثاني جثة احدى بناتها وقد نُزع عن كليهما حليُّهما

وقد كان لهذا الاكتشاف اهميَّة كبرى من حيث آداب المصريين ودينهم. فانَّهُ وُجدت في الغرفة الاولى قائمة اسماء الآلهة المصريَّة وهي لا تنقص عن ٧٤١ الهًا وقد صُوِّر كلّ

منها بخواصّه وعلاماته المفرّقة له ورُسم معهُ اسمهُ. وفي القاعة الثانية وُجد كتاب كبير الحجم وهو اقدم نسخة من الكتاب المسمَّى عند المصريين « وصف ما يلقاهُ الميت في الحدس اي الجحيم » وهو كتاب الموتى يستصحبهُ الميت ليكون على بيّنة مما سيلقاهُ في العالم الآخر

ولم يكتفِ جناب المناظر الملأمة بهذه الاكتشافات بل زاده ذلك نشاطاً لمواصلة الحفر فأدَّى به ذلك الى وجود قبر آخر موقعهُ بين المدفنين الثاني عشر والثالث عشر المرقومين في خارطة السيَّاح بازاء قبر رعمسيس الثالث المشهور بطوله البالغ ١٥٠ متراً. وكان ذلك في ٩ اذار ١٨٩٨

وقد اخبر المسيو لوره في جلسة عُقدت امام اعضاء الجمعية العلمية المصرية كلَّ تفاصيل هذا الاكتشاف الخطير ووصف ما خامر قلبهُ من التأثُّر لدى ولوجهِ في هذه منازل الموتى التي لم يدخلها احدٌ من البشر منذ مئتين بل الوف من السنين اعني منذ انتهك حماها لصوص الدولة الثانية والعشرين لمَّا عاثوا فيها كلَّ العيث فبعثروا الاجسام وجدعوا التماثيل وترعوا الحليّ وكسَّروا الآنية فبقيت مذ ذاك هذه المدافن على هذه الحالة لم يقع عليها بصر. (قال) « وكان يتقبَّض فؤادي اسفاً اذ كنت اسير في وسط هذه الحطام من الخزف والرخام والخشب المنقوش.... وكان من جملة ما شاهدتُ رأس تمثال صغير بديع الجمال وصورة حيَّة كبيرة متثنية ملتفَّة على بعضها تمثّل حرس القبور. وبقرب حائط اليمين وقع بصري على فُلكين من فُلك الموتى طولهما متران ونيف قد نُقشتا بالالوان الناصعة احداهما مُنتصبة والأُخرى مُلقاة على جانبها. وبجوار السفينتين فوق طبقة الردم زهور السدر والبردي نُقشت على الخشب وكانت هذه سابقاً تُمثّل مقدَّمة السفينتين ومؤخَّرها الّا انها قد سقطتا بكرور الدهور

« وكان في يدي شمعةٌ فسرتُ الى الامام واذا انا تجاه مشهد فظيع اقشعرَّت فرائصي لرؤياهُ. وما ادراك ما كان ذلك المنظر ? انما كان شبح ميتٍ مضَّجع على قفاهُ اسود اللون قبيح الصورة على وجهه امارات الحزن والهمِّ. وكان شاخصاً اليَّ ورأسهُ يعلوهُ شعر طويل متشعّث متجعّد. وكان ساقاهُ وذراعاهُ ممدودتين كأنهُ موثق بالحبال وفي جبهتهِ اثر شجَّة واسعة. فعمل فيَّ هذا المنظر الشنيع عملاً سيئاً ولم يخطر لبالي انما ذاك جسمٌ محنَّط بالموميا كعادة المصريين. ولا اعلم أيكون جثَّةً من ذبيحة بشريَّة او لعلَّهُ بعض اللصوص قتلَهُ رفقتهُ عند قسمة الغنيمة او ادركهُ الشُّرط في وقت فتحهِ للقبور فجازوهُ بفعلهِ.... »

وحسن حظ العلماء لم يتمكن المتلصصون من نزع كل آثار هذه القبور فتسنى للمسيو لوره ان يجمع منها شيئاً كثيراً بعدهم . فمن ذلك دروع اشتغلها قوم من الساميين وعدة تماثيل آلهة مصرية وآنية من الرخام الابيض تسمى كانوب كانت تفرغ فيها احشاء الموتى عند تحنيطها واصناف عديدة من التمائم والاحراز مع شيء كثير من المآكل المعدة لارواح الموتى يقتاتون بها على زعمهم بعد موتهم كالارز والبط والعجل وكلها ملفوفة بالقماطات ومودعة في توابيت من الخشب الابيض

لكن خطارة هذا الاكتشاف تتوقف على غير ما سبق لنا وصفه وذلك ان قدماء المصريين في بعض التقلبات السياسية كانوا اتخذوا قبر امينوفيس الثاني كخبأة نقلوا اليها جثثاً محنطة لكثير من الفراعنة . فصار هذا الاكتشاف تتمة لاكتشاف المسيو مسبرو في دير البحري سنة ١٨٨١ . وعدد جثث الملوك التي عثر عليها المسيو لوره تسعة وكلها معروفة قد رقمت اسماء اصحابها على الاكفان . وبينها جثة امينوفيس الثالث الشهير اكبر فراعنة الدولة الثامنة عشرة شأناً واعظمهم سلطة . وجثة امينوفيس الرابع الذي كان في عقله مس وهو باني تل امرنا كما سبق

٥ اكتشاف قبر اوزيريس في ابيدوس

قد بقي علينا ان نصف اكبر اكتشاف جرى في هذه السنة نعني بذلك وجود قبر الاله اوزيريس في ابيدوس . ولا يخفى على من لهم ادنى المام بتاريخ مصر ما كان يقدمه المصريون من الاكرام وفروض التعبد لهذا الاله ولزوجته واخته معاً الالهة ايزيس ولولديهما هُور وسيث . وكان منشأ عبادة اوزيريس اقدم آلهة مصر في مدينة ابيدوس الّا انها لم تلبث ان تنتشر في كافة انحاء البلاد فعمتها جميعاً . وكان اوزيريس يكرّم خصوصاً كاله الموتى وهو مع ذلك يعدّ كرمز الحياة الباقية رغماً عن التقلبات الطارئة عليها فيشبّهونه بالشمس التي تبزغ كل صباح بعد ان استولى عليها سلطان الظلمة وبالنبات الذي يُقطع فلا يلبث ان يُذرّ ويربو بعد حين فكذلك يعيش اوزيريس في الانسان بعد موته في العالم الآخر

والمصريون كانوا يخبرون ان اوزيريس وايزيس ملكا في قديم الزمان على بلدهما فرقّياه في معارج الخصب والفلاح . وبقي امرهما كذلك الى ان عمهما احد ابنيهما وهو سيث ويدعى ايضاً تيفون يعدونه كاله الشر . فبث هذا الشر السوء لابيه الصالح ولم يزل يفتل

لهُ في الذروة والغارب حتَّى أقنع اباهُ بان يدخل تابوتًا اقفلهُ عليهِ ابنهُ الخدَّاع ورماهُ في النيل. فيزعم المصريّون انَّ مياه النهر حملت بالتابوت الى البحر فساقتهُ الامواج الى جُبَيل في فينيقية. ولمَّا احسَّت ايزيس ما حلَّ بزوجها من النكبات جعلت تطوف الاقطار طلبًا لآثاره. فوجدتْ جثَّتهُ بعد اللَّتيا والَّتي واخفتها عن العيان بما امكنها من الحرص. بيد انَّ الشقيَّ سيث أُطلع عليها وقطعها اربع عشرة قطعةً رمى بها في مواضع شتَّى. فعاودت ايزيس اسفارها واسعدها الحظّ على وجود الأَشلاء المقطَّعة وكانت اذا ما عثرت على عضوٍ منها بنت في مكانهِ قبرًا. وكان اعظم هذه القبور شأنًا مدفن ابيدوس يحجُّ اليهِ المصريّون تبرّكًا ويطلبون الدفن بقربهِ تعبُّدًا كما يفعل اليوم اهل الشيعة بكربلاء حيث قُتل الحسين

وقد وُجد في هذه السنين الاخيرة عدَّة أعمدة وصفائح كانت تقام في ابيدوس فوق القبور تعريفًا لاحوال الموتى وهي مختلفةٌ في الحجم والطول وحسن الاتقان على حسب مقام الميت. امَّا قبر اوزيريس نفسهُ فلم يقف لهُ احدٌ على خبر. فانَّ ماريت بك كان يبحث عنهُ طويلًا بلا فائدة. فعاد المسيو أميلينو منذ ثلاث سنوات الى مصر واخذ يداوم الحفر في اقدم مدافن ابيدوس فوجد اوَّلًا عدَّة قبور من جنس الضرائح السابقة لتاريخ المصريين المعهود. ثمَّ لازم الحفر على طريقة نظاميَّة الى أن خدَّ في الارض اخدودًا بلغهُ قصارى بغيتهِ واطلعهُ على قبر اوزيريس وكان ذلك في اواسط كانون الثاني من هذا العام

وقد قصَّ المسيو اميلينو خبر اكتشافهِ هذا في مجلّة افرنسية تدعى (Le Monde illustré) وصحب روايتهُ بعدَّة تصاوير فوتوغرافية تمثل نواحي القبر واقسامهُ المختلفة

ومن المعلوم انَّ مثل هذه الاكتشافات تثير في الجمهور شعائر الانذهال ألَّا ان العلماء لا يرضون بالحدس والمزاعم حتى يتبيَّنوا الامر ويتحقَّقوهُ. وعليهِ ما كاد المسيو لوره ان يسمع الخبر حتى اسرع ميمِّمًا الأقصر ففحص القبر ادقَّ فحصٍ وارسل لجريدة المصريَّة تلغرافًا هذا تعريبهُ: «انَّ وجود قبر اوزيريس في الأقصر لخبرٌ صادقٌ ثابت. والمغارة المبنية بالآجرّ اليابس هي القديمة الاصلية. امَّا الناووس الفارغ الذي نُحت ذكرًا للاله فهو من حجر الصوَّان وعهدهُ اقرب الى زماننا لعلَّهُ لا يرتقي الى ما بعد الدولة التاسعة عشرة في أيام ساتي الاوَّل. هذا وان النَّاحت قد حاول ان يمثّل ناووسًا قديمًا لم يبقَ لهُ اثر. والناووس

الجديد الذي اكتشفهُ المسيو أميلينو هو الذي نُقشت صورتهُ على جانب هيكل ساقي الاوّل في ابيدوس. وقد هلنا التراب على المكان فطمسناهُ عملاً بالفطنة »

فهذه الشهادة للمسيو لوره تزيل كلّ شكّ عن صحّة اكتشاف قبر اوزيريس وقد آثرناها على ما سواها لما نعلم في صاحبها من طول الباع في معرفة الآثار القديمة

ولهذا الاكتشاف شأن كبير ليس فقط من حيث وجود بعض العاديات القديمة لكن ايضاً من حيث تاريخ اديان الاقدمين اذ تُبيّن لنا جليّاً كيف اضحى بعض الملوك ابيدوس بحكمته وحسن سياسته او ايضاً بفتوحاته محبوباً لدى شعبه فصار قومهُ يكرّمونهُ شيئاً فشيئاً حتى اذا مرَّ عليه بعض قرون عظم شرفهُ وانتشر اسمهُ وجعل الناس يجلّونهُ ويؤدون لهُ مراسيم التعبّد كأنهُ الهٌ صحيح

أجل انَّ العلماء كانوا ذهبوا الى انَّ كثيرًا من آلهة المشركين انَّما كانوا في الاصل بعض مشاهير الملوك او المشترعين او النُّسَّاك او جهابذة عصرهم المبرّزين بسموّ مداركهم ممَّن شرَّفوا باعمالهم ابناء جلدتهم. وذلك موافق لطبيعة الانسان الذي جُبل على معرفة الجميل بعظّم مَنْ بذلوا الوسع في سبيل صلاحه مع اليقين التامّ انَّ مثل هؤلاء الصالحين الابرار لا يزالون بعد حياتهم الفانية يفكّرون في خير رعاياهم يشفعون بهم ويُظلّونهم بكنف حمايتهم. غير انَّ قول هؤلاء انّما كان زعماً لا يتجاوز حدود الظنّ والتخمين فاتى اكتشاف قبر اوزيريس داعماً لرأيهم مثبتاً لهُ

هذا ولا نجهل انَّ الابالسة خزاهم الله تمكّنوا ايضاً في بلاد كثيرة ان يخدعوا البشر ويجلبوهم الى الشرك بتأدية واجبات السجود للكائنات الدنية كالحيوانات والجماد بل وللارواح الشرّيرة نفسها

والمسيو لوغرين (Legrain) مفتّش ادارة العاديّات الذي يجدُّ اليوم في ترميم هيكل امون في كرنك بذكاء عجيب مزمِلٌ بعد اكتشاف المسيو اميلينو املاً طيّباً بان يقف هو ايضاً على قبر إله الأقصر المعروف بأمون سواء كان في قسم هيكل كرنك القديم او في مدفن الأقصر

ذكر بعض مسائل متعلقة بالآثار المصريّة

قبل ختام هذه المقالة الوجيزة عن الاكتشافات المصريّة الحديثة احببنا توفيرًا لفائدة

القرّاء ان نعرض لهم ما يدور من الابحاث الجليلة في هذه السنة بين اعضاء الجمعية العلمية المصرية. وانّما نقتصر على بعض المسائل المهمّة ليس الّا

١ ذكر بني اسرائيل في الكتابات المصرية

لا يخفى كيف شاعت في عهدنا هذا دروس الكتاب المقدَّس. وكان جلُّ ما يرغبهُ الناس بعد ان كشف شمپليون الحجاب عن مكنون معاني الاحرف الهيروغليفية (١ ان يطالعوا في هذه الكتابات شيئاً من اخبار بني اسرائيل الذين قضوا في مصر مئين من السنين منذ زمن يوسف الحسن بن يعقوب الى ايّام موسى الكليم. فلم تأتِ الابحاث الى هذه السنين الاخيرة الّا بالنزر القليل

وهاك معظم ما انبأتنا عنهُ هذه الكتابات من هذا القبيل. قد وجد في صفيحة رخام ماثلة النقوش على بعض جوانب هيكل امون في كرنك (٢ صوَر عدد كثيرٍ من الأسرى بينها صورة ملك ذي هيئة سامية رُقِمَ اسمهُ بقربهِ «يهوذا ملك». فالرأي الراجح انّهُ يراد به احد ملوك اليهود

ثمَّ ذكر في بعض كتابات مخطوطة على البردي انَّ «الابريين» كانوا يدحرجون الحجارة الضخمة في قصر الملك رعمسيس الثاني. والرأي العامّ انّهُ يراد بالابريين قوم العبريين او العبرانيين. وهذا البابير محفوظ في خزانة عاديّات ليدن

وفي سنة ١٨٩٦ لمّا كان المسيو فلندرس بيتري يحفر في مدافن الاقصر بين اخربة هيكلٍ شيّد ذكرًا لموت برنفتاح (ومعناهُ حبيب الاله فتاح) وقع على صفيحة افادهُ اكتشافها مجدًا عظيمًا. وهي عبارة عن رخامة سوداء علوّها ثلاثة امتار وعشرة سنتيمترات وعلى احد وجهيها كتابة مؤرخة في السنة الخامسة للملك برنفتاح يذكر فيها خبر غزوة هذا الملك لأمم

١) تيسّر لشمپليون ان يقرأ هذه الخطوط بواسطة بعض الكتابات المرقومة بلغتين يونانيّة فصريّة. ولمّا كانت هذه الكتابات تحتوي على كثير من الاعلام اخذ يقابل حروف هذه الاسماء بعضها الى ان وقف على حقيقة لفظها

٢) هذه الصفيحة لا تزال محفوظةً جليَّة النقوش والاحرف يجدها الزائر في ساحة الهيكل الكبرى عند خروجهِ يمينًا من الباب المعروف بباب البوباستيت (Bubastites) فاذا خطا هناك بعض خطوات الى شمالهِ يرى بازائهِ صورة الملك العظمى وتحتها على الحجرة الاولى الشمالية بعلوّ نصف متر من الارض قد نقشت صورة اسيرَين حُطِّمت هيئتها تليها صورة اخرى صحيحة سالمة فهي هي صورة ملك يهوذا. والمرجَّح ان هذا الملك هو رحبعام الذي غلبهُ فرعون مصر شيشق او شاشنك احد ملوك الدولة الثانية والعشرين (راجع سفر اخبار الأيّام الثاني الفصل ١٢ عدد ٢)

الليبين . ثم يُبتَدَ ذلك بثلاثة اسطر قد سرد الكاتب اسماء كثير من الامم غلبهم الفرعون وفي جملتهم بنو اسرائيل . وهذه هي المرة الاولى وُجد فيها اسم الاسرائيليين على الآثار المصرية . وهو مكتوب بجلاء .



â sir à al (اسرائيل)

ويقرب الاسم صُوّرت العصاة وهي عندهم رمز عن الشعوب الاجنبية . ثم يليها صورة رجل وامرأة وخطوط ثلاثة عموديّة دلالة على الجمع . هذا وان الرأي الشائع بين مفسّري الكتاب المقدّس الكاثوليكيين انّ خروج العبرانيين من مصر قد جرى في نفس هذه السنة الخامسة المذكورة هنا في الصفيحة فترى كيف امكن لراقم هذه الكتابة ان يذكر الاسرائيليين في عداد الشعوب الخارجة عن ارض مصر ؟

وقد بحث عن هذه المسألة المسيو وليم غروف (Groff) احد العلماء الاميركين ذوي الشهرة في العلوم المصريّة . فبلغ بعد الفحص الى هذه النتيجة وهي انّ الاسطر الثلثة الاخيرة احدثُ عهدًا من بقيّة الكتابة وأيد ذلك بالبراهين الآتية :

اوّلًا اذا ما فحص احد السطور العليا المرقومة على هذه الصفيحة وقابلها مع السفلى وجد ان المعنى لا يلتحم بينهما التحامًا حسنًا . فان غاية الكاتب كان وصف حرب الملك منفتح مع الليبين . امّا الاسطر الاخيرة فيرتأي انّها زيادةٌ ألحقها كاتب آخر بعد هذا العهد انتقامًا من الاسرائيليين لخروجهم من مصر

ثانيًا انّ هيئة الاسطر الاخيرة تختلف من حيث جلائها وإشراقها اختلافًا كبيرًا عن الاسطر الاولى فذلك دليل على أنّها اضيفت بعد ذلك بيد كاتب آخر . وبناء عليه فانّ رأي الكاثوليكيين مفسّري الكتاب الكريم الزاعمين انّ خروج بني اسرائيل من مصر جرى في السنة الخامسة لملك منفتاح لم يُنقض باكتشاف الصفيحة الجديدة

٣ ابنة فرعون الذي نجّت موسى من الغرق

انّ المسيو وليم غروف المارّ ذكرهُ يظنّ ايضًا انّهُ اتّصل الى تحقيق اسم

بنت فرعون التي خلّصت موسى الطفل من تيّار المياه. وذلك انهُ قرأ على ناووس يملكهُ المسيو غاڤيليو (Gavillot) في القاهرة اسم اميرةٍ تُدعى «بنت انتا» وقبرها عند باب الحريم في مدفن الأقصر وهي مصوَّرة هناك وبين ذراعيها طفل صغير. واسم هذه الاميرة ساميٌّ كما ترى ولعلَّ أُمَّها كانت سوريَّة وكان ابوها رعمسيس الثاني مضطهد العبرانيين شديد الحبّ لها

وقد ورد اسم هذه الفتاة في تُلموذ اليهود الّا انهُ قد صُحّف على صورة «بِتْ يا» فيزعم المسيو غُروف انَّ اليهود غيَّروا اسمها «بنت أنت» ومعناهُ «بنت الإلهة أنت» باسم «بنت يه» او «بِتْ يا» اي ابنة الله وذلك تعظيمًا لقدرها وشكرًا لها على صنعها مع موسى النبيّ وفرارًا من اسم «أنت» وهي إلهة صارت بعد كرور الدهور معبودة الفَجَرة والعاهرات (١

ودعم المسيو غروف رأيهُ هذا ببراهين أُخر مبنية على موافقة تواريخ الازمنة فبيَّن انَّ قول الكتاب المقدَّس لا يصدق سوى على هذه الاميرة وحدها. واصلها السوريّ هو الذي يُعلّل رقَّةَ قلبها وانعطافها نحو بعض اطفال العبرانيّين

٣ النصرانية في مصر في القرن الاوّل للمسيح

بقي علينا ان نذكر اكتشافًا آخر للعلأمة نفسهِ يختصُّ بتاريخ اوائل النصرانية في مصر. ومن المعلوم انَّ كثيرًا من علماء عصرنا الذين يقاومون الدين القويم لا يرضون بتقاليد قدماء النصارى ويزعمون انَّ انتشار هذه الديانة في بلاد كثيرة لم يجرِ الّا بعد المسيح بزمن طويل. ومن جملة مزاعم هؤلاء الجَحَدة انَّ الاقطار المصريَّة لم تستضئ بانوار الايمان المسيحيّ في زمن القديس مرقس الانجيلي رغمًا عمَّا كتبهُ اوسابيوس المؤرّخ قبل اواسط القرن الرابع

فالمسيو غروف اصاب في هذه السنة صفيحةً من البُرديّ تاريخها من القرن الأوَّل للمسيح وجد فيها شهادةً تنفي قول الجاحدين وتثبت قول اوسابيوس المعروف بأبي التاريخ الكنسي وهي مكتوبة باللغة المصريَّة المعروفة بالعاميَّة (démotique).

امَّا مضمون هذا البابير فهي ادعيةٌ لبعض سَحَرة مصر. وفي جملة كلام رقيتهِ دعاء للاصنام ولمشاهير الرجال وللانبياء يستشفع بهم. وقد خصَّ بالذكر الجواريَّين بطرس الصفا ويوحنَّا وذكر المسيحَ واستعان «بالاب الذي في السماوات» الى غير ذلك من الدلائل

---

١) وقد دعاها يوسيفوس المؤرخ في الكتاب الثاني من العاديات (ف ٥) باسم « ترموتيس »

الشمرة بأنهُ عاشر المسيحيين الأولين وسمع منهم بعض تعاليمهم وصلواتهم

ومن اغرب ما ورد ذكرهُ في معرض كلام هذا الساحر «بركة الخمر في الكأس» ويزعم انها رتبةٌ يحتفل بها «فيلبُّس السامري». أفليس في هذا القول اشارة الى ذبيحة القربان الاقدس والى بشارة القديس فيلبُّس احد الشمامسة السبعة في بلاد السامرة كما أُخبر في الفصل الثامن من اعمال الرسل العدد الخامس؟ ومهما كان من شرح تفاصيل هذه الرُّقى السحريَّة فانَّهُ لم يبقَ مجال للشكّ بانَّ النصرانية كانت معروفة في مصر منذ القرن الأوَّل للمسيح وانَّ تقليد قدماء النصارى من الامور الراهنة الصادقة

هذا وانَّنا نعلم انَّ علماء الكاثوليك لا يرجبون مقالاً الَّا حققوهُ بالحجج الصادقة واسندوه الى الشواهد الصحيحة. الَّا انهم لا يزدرون ايضاً بما تأتيهم الاكتشافات الجديدة من البراهين ولو كانت على يد سفلة القوم او السحرة. وربما اتت الشهادة من عدوّ فتزيد قوةً وبياناً

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رترڤال اليسوعيّ

(تابع لما قبل)

ان تاريخ خضوع تدمر للدولة الرومانية لا يُعرف حقّ المعرفة لِعدم الدلائل عليه. ومع ذلك فلا شكّ في ان انضمام تدمر الى ممالك الرومان لا يرتقي الى ما فوق السنة السادسة والثلاثين قبل المسيح. فقد ورد في تاريخ ابيانوس الروماني (De bello civili, V 9) ان مرقس انطونيوس القائد الروماني بعد ان حارب في تلك السنة الملوك الارشكيين ودارت عليه الدوائر توجَّه الى الشام عائدًا من ثمَّ الى رومة. فلمَّا قرب من تدمر أوفد الى اهلها رسلًا يخبرونهم انهُ قاصد مدينتهم ليُريح عندهم جنودهُ ممَّا نالوهُ في الحرب الاخيرة من المشقَّة والعناء. لكنَّ هذا القائد كان يضمر الشرّ لاهل تدمر وكانت نيّتهُ الخفيَّة ان يطلق جيشهُ على المدينة فتكون لهم غنيمة باردة يملكون اموالها وتغانمها صفوًا عفوًا

فلم يلبث التدمريّون ان اطّلعوا على حقيقة الامر فاتخذوا حذرهم من غارة الرومان وبادروا الى نقل اموالهم وعيالهم وعبروا الفرات مُسرعين. فلمَّا سمع الملك بذلك تعقَّب

آثارهم حتى ادركهم واقتتلوا قتالًا شديدًا كانت الغلبة فيهِ للتدمريين. فولّى الرومان مدبرين وقد لحقهم من الاضرار ما لم ينلهم قبلُ من الفرس. وهذا على ما نرى دليل واضح على ان تدمر لم تذعن للدولة الرومانية الَّا في اوائل النصرانية كما مرَّ

امَّا الزمن الذي فيهِ اصابت تدمر حقوق مستعمَرة رومانية فهو امرٌ ذهب فيهِ الكتبة مذاهب مختلفة يطول شرحها بالتفصيل. ومما لا شبهة فيهِ ان تدمر كانت مُحرزة لتلك التسمية الشرفة في عهد كراكلاً (٢١١ — ٢١٧) كما يتَّضح من كتاب أُلبيان الفقيه (١. قال وادنكتون (٢: ان القيصر الذي وهبها هذه الرتبة والحقوق المنوطة بها انَّما هو الملك سبتيميوس ساويرس (١٩٣ — ٢١١ م). لكنَّنا نؤثر رأي دي فوكويه (N° 5) ودُوبل ودرُوين ونظنّ انَّ الامر يرتقي الى عهد القيصر ادريانس لِما في الكتابة المكسيَّة الموصوفة آنفًا من الادلَّة الواضحة على علوّ مرتبة تدمر بين المستعمرات الشرقية في ذلك الزمان (٣. واذا ردَّ قولنا فاقلّ ما يجب التسليم بهِ هو انَّ الملك ادريانس الذي قد جلَّت اياديهِ على تدمر منحها منصبًا رفيعًا يُسمَّى عندهم (μητροκωμία) اي رأس الاميريَّة على جميع القرى المجاورة لها في بطون البراري (٤

هذا ولمَّا كان ادريانس صرف همَّتهُ في مصالحة الشعوب المحيطة بالممالك الرومانية

---

١) راجع Digest. L., 15., 1. حيث قيل ان تدمر كانت من جملة المدن التي اكتسبت الحقوق الايطالية Jus italicum اي حقوق المستعمرات الرومانية العليا. وكانت المستعمرات في عهد القياصرة على ثلاث طبقات الاولى وهي السفلى لم تمنح للمدينة الَّا شرفًا دون امتياز. والثانية وهي المتوسطة كانت تختلف عن المستعمرة وطأة الخراج. امَّا الثالثة وهي العليا فتنيل المدينة عدَّة معافيات وحقوق منها حقّ الامتلاك التام والاعفاء عن الخراج والحريةُ الكاملة في سياسة المدينة وتدبيرها

٢) W. 2585

٣) راجع W. p. 596, col. 1 و N° 2616 حيث يتَّضح ان بعض رجال تدمر من اعيان البلدة وشرفائها اتخذوا اسم ادريانس مع حقوق المدنيَّة الرومانيَّة التامَّة. — راجع ايضًا : Drouin *La Numismatique Araméenne*, J. A. 1889¹, p. 392 وكتاب المسيو دوبل : Double *Les Césars de Palmyre*, p. 10. (وقد تكرَّم احد ادباء بيروت فاطلعنا على هذا التأليف الذي ابدينا الأسف في اوَّل مقالتنا على عدم تصفحه

٤) راجع Corp. Inscript. græc. 4485, 4496, 4499 و *Notitia Dignit.* I, p. 85 و Procop.: *De Ædif.* II, 11.

طفقت مستعمرة تدمر تفلح وتنمي وترتقي الى قمّة الغِنَى والثروة وكانت قوافلها المظيمة تقطع دون ملّل المسالك التي اشرنا اليها في خارطتنا وتسعى في رواج تجارة الرومان ومصالح سياستهم. وكذلك كان الامر في ايّام انطونينوس پيوس خَلَف ادريانس. فان هذا القيصر الذي استوى اكثر من عشرين سنة على عرش رومة بسط على وجه المعمور الصلح والسلام فكانت ايامهُ طيّبة والخيرات فيها دارّةً والولايات عامرةً. فبذلك تسنّى لمدينة تدمر ان تشدّد بينها وبين الدولة الرومانية العلائق والروابط الودادية فازدادت شوكتها وعلا قدرها وشمل العمران كلّ انحائها وكان هذا لكلا الفريقين رِدْءًا مظليًا لاسيما وقتَ ظهر اردشير بن ساسان فاباد دولة بني ارشك وتبوّأ تخت السلطنة (سنة ٢٢٦). فلمّا استفحل امر بني ساسان خاف الرومان من سطوتهم فبادر اسكندر ساويرس الى محاربتهم (٢٢٩) واحبَّ ان يجتاز بتدمر حيث استقبلهُ زينوبيوس ابو زينب وكان وقتئذٍ قائد الجيش التدمري كما سبق (١ وفي تلك الاثناء حصل آل أُذينة بنو السُّميدع على رتبة الشيوخ (٢

وكانت صنائع اليونان وفنونهم وجميع اسباب العمران الروماني قد ولجت ابواب تدمر منذ زمن قديم ونفذت فيها اي نفوذ (٣ فتقاطر اليها من كل اوب الصنّاع المهرة

---

١) ولا نعلم كيف اجترأ المسيو رَيْت (Wright) صاحب كتاب Palmyr aand Zenobia, 1895 فقال ان زينب كانت ابنة زبّاي وهو يسند زعمهُ الى ثلاث كتابات تدمرية من مجموع المركيز دي فوكويه وفيها ورد اسم ملكة تدمر الحقيقي الذي هو بَتْ زبينه اي ابنة التاجر كما قلنا سابقًا. فسخ الكاتب اسمها (راجع الكتاب المذكور ص: ١٢٧)

٢) ان اوّل من جاء ذكرهُ من بني السميدع في الكتابات التدمرية هو نصور (נצור) ثم ولده وهبلات ثم خيران (חירן) ابن وهبلات وهو الذي سار بصحبة سپتيميوس ساويرس الى محاربة الارشكيين وفي آخر هذه الحرب تسمّى باسم سپتيميوس ذكرًا بوليّ نعمتهِ V., n°° 21 et seqq.

٣) ولنا في ذلك برهان لا مرد عليهِ وهو كتابةٌ حُفرت في السنة ١٠٣ (ب٠م) على قبرٍ محكم البناء بديع الصنع قد نمّقتهُ يدُ الصنّاع اليونانيين. امّا الهيكل العظيم المختصّ بعبادة الشمس وغيره من الابنية العجيبة البهاء (وهي من الشكل الكورنثي السوري) فالارجح انها تنتمي الى هذا العهد ايضاً. (راجع Chesney : I, p. 526). ومن جملة آثار تدمر معبد صغير يسمّى هيكل والدة الملك وهو يرتقي الى السنة ١٣٠ وقد كُتِب على احد اركانه اسم ادريانس القيصر. امّا قول الذين ينسبون هذه الابنية الى زينب فلا سند لهُ بل هو خطأ بيّن لانّ الهياكل التي بُنيت في عهد



منظر عمومي لآثار تدمر على ما كانت في آخر القرن الماضي (راجع وود)

والعمَلة الحذّاق بآداب البنيان فشيّدوا فيها من الهياكل والمعابد والمنازل والمشاهد والملاعب والقبور ما يخلب الالباب ويستدعي العجب العُجاب (راجع صورة آثار تدمر في هذه الصفحة). ومع ذلك فلم تزل مدينة تدمر تحفظ سننها الوطنية وعوائدها الخصوصية كسائر الاقاليم الشرقية المذعنة للرومان وبقيت آداب التدمريين ولغتهم آرامية رغماً عن شيوع اليونانية في المعاملات الرسمية (١

هذا واذا اعتبرت ان العهد الذي فيه ارتقت حاضرة زينب الى اوج التمدن هو نفس الزمن الذي به تواتر على عرش رومة بعض الملوك الشرقيين كسبتيميوس ساويرس واسكندر ساويرس وفيليبوس العربي فلا تتعجب من كون سبتيميوس أُذينة الاوّل قد تجاسر على خلع السلطة الرومانية واقامة دولة مستقلة تحتوي على انحاء البراري وبلاد العرب الشمالية.

.ملكة تدمر كهيكل بعلبك مثلًا يدل شكلها على ان صناعة البنيان قد انحطّت من سذاجتها الاولى وخلوص اشكالها الى تكاثر النقوش واختلاط الصور. (راجع Wright, *op. c.*, p. 63 و Revue des Deux Mondes, 15 Juillet 1897, p. 380).
امّا العمران الروماني فالمراد به جملة اسباب الرفاهية وسعة العيش من حيث اختيار الاطعمة والالبسة والمساكن وغيرها من امور الزهو ودواعي اللذة التي بها اشتهر الرومان على من سواهم من شعوب المسكونة

١) راجع نولدك: Z D M G, 1885, p. 333

وكان هذا الرجل ابن خيران بن وهبلات بن نصور من بني السميدع كما مرَّ وانتهز الفرصة فادَّعى المُلك. فلبّى قومهُ الى دعائهِ وسموهُ ملكاً في نحو السنة (٢٥٠ م) فلما قويت شوكتهُ فطن لامرهِ القيصر الروماني واراد ان يُخمد ضرام فتنتهِ فامر بقتلهِ فقُتل (١

وكان لأذينة الاوَّل ابنان اكبرهما يدعى سبتيميوس خيران والاصغر سبتيميوس أذينة فاخذ خيران بعنان رياسة مجلس الشيوخ بعد قتل ابيهِ ولم ينصب المكائد على الدولة الرومانية كما فعل ابوهُ. فلما مات عن ولد صغير يدعى (מעני) معني وباليونانية (Μαιναῖος) خلفهُ اخوهُ أذينة الثاني وكان قبل ذلك قد استولى على قيادة الجيوش والعيرات وقبائل بادية الشام وفي السنة ٢٥٧ منحهُ وَلِريانس القيصر رتبةً سامية فدعاهُ قنصلاً (vir clarissimus او سيد البلدة (٢ (consularis

وكانت تلك الايام ايَّام فِتَن وحروب وقد ذلَّل شابور بن اردشير رقاب الرومان في اقاليمهم الشرقية فعزم وَلِريانس على محاربة الفرس وزحف مسرعاً الى بلادهم (٢٥٩م). الَّا أنَّ مكرينس احد قوَّاد جيشهِ خانهُ فاضلَّ الجنود واسقط القيصر في ايدي الاعداء بجوار الرها فاسرهُ سابور واذاقهُ مرَّ الهوان ومثَّل بهِ (في بدء السنة ٢٦٠)

وكان أذينة رجلاً ذا شجاعة وبأس قوي القلب من ابطال العرب قد نشأ على آداب اهل البادية وكان مغرًى في صحاري الشام بصيد الدباب والفهود والاسود (٣ ومع ذلك فلمَّا انتهى اليهِ خبر القيصر وما لحقهُ من العار والذل تهيَّب سطوةَ سابور وفكَّر في وجه استعطافهِ فاوفد رسُلاً يحملون اليهِ الهدايا والالطاف مع كتابة يلتمس فيها أذينة من ملوك الفرس الصلح والمعاهدة (ستأتي البقية)

---

١) والذي قتلهُ هو على راي وادنكتون (N° 2600) رجل اسمهُ روفينوس قد ارسلهُ القيصر لمناظرة امور سورية

٢) او ὑπατικός الذي معناهُ المُرسَل القنصلي. قال الاب مرتين اليسوعي: ان هذه الدرجة توازي وظيفة والي سورية وفينيقية. (راجع ايضاً W., N° 2602). وقال بعض المؤرخين ان أذينة كان في اوَّل امرهِ قد صمَّم على الاخذ بثار ابيهِ وشارك رجلاً اسمهُ كيرياديس (Cyriadès) لاقامة دولة مستقلَّة في انحاء المشرق. (راجع Double, : l. c., p. 23) الَّا انَّ في الامر نظرًا. والارجح عندنا ان كيرياديس هذا لو صحَّ وجودهُ قد شارك أذينة الاول في خروجه على الرومان نحو السنة ٢٥٠ كما قيل. (راجع W., N° 2600) وعلى كل حال فلم يتمَّ أذينة ان ينتصر للدولة الرومانية فيقاتل جميع اعدائها ٣) (راجع تريبليوس Trig. Tyr. 14). اعلم ان الاسود والفهود لم تزل الى يومنا هذا تتردد الى الوديان المجاورة لتدمر

وافدتا الدفتيريا والحصبة في حمص

للدكتور كامل سليمان الخوري

قد كانت هذه العشرة الشهور المنصرمة شديدة الوطأة على الاطفال دهمهم في اثنائها مرضان من امراض الطفولية أوديا بارواح كثير منهم الى التلف فأحببتُ دَرْج ملاحظاتي بخصوص هاتين الوافدتين فاقول: لا مراء بانَّ الدفتيريا والحصبة هما مرضان ساريان وسرايتهما تصير بانتقال الجراثيم من شخص الى آخر. فالخناق الدفتيري هو خصوصاً كثير الحدوث في الاطفال والاولاد. وهو عِداديّ او أفراديّ في بعض المحلاّت واذا ما وفد تكون وفادتهُ خفيفة الوطأة او شديدتها. ولمَّا يفتح بلدًا جديدًا تكون حوادثهُ مخيفة جدًّا كما جرى في الوافدة التي حدثت في بسَّارابيا سنة ١٨٧٢

وقد ترجَّح لا بل ثبتَ ان جرثومة الداء تنتقل غالباً بواسطة الغبار الذي يحملهُ الهواء. ومن خصائص انبوبية (باشلس) الدفتيريا أنَّها شديدة المقاومة للعوامل الطبيعية. وقد شُوهدَ حوادث أُصيب بها اناس ناموا في أَسرَّةٍ كان اضطجعَ فيها من زمن مديد اشخاص مصابون بالدفتيريا

ومن المصائب الكبرى انَّ الاصابة بهذا الداء لا تورث المناعة وعليهِ فالخناق الثاني ممكنة العودة الى العليل الذي أُصيبَ بهِ سابقًا. وفي بعض الحوادث يكون الخناق الثانوي ثانويًا اي يعقب بعض امراض كالقرمزيَّة والحصبة والحمَّى التيفويديَّة. وممَّا شاهدناهُ في هذه المدَّة أنَّ كثيرًا من حوادث الدفتيريا عَقَبَتْ الحصبة وكانت وخيمة العاقبة بيدَ ان الاعراض التى رافقتها لم تكن شديدة جدًّا بالظاهر

امَّا الحصبة (١ وان يكن بامكانها اصابة كلّ الاشخاص على اختلاف سنّهم الّا انها اكثر ما تطرأ بالاطفال وقد شُوهِدَ حوادث حصبة وراثية انتقلت لجنين من الامّ. وهذا المرض هو نادر في السنة الاولى واكثر حدوثهِ في الاولاد من السنة الثالثة الى الخامسة وهو وبائيّ شديد السَّريان فقد يكفي وجود ولدٍ مصابٍ بهِ بين جمهور من الاطفال ليكتسب

١) وتدعى عند العامَّة حرّسة وفي جبل لبنان تشيشي وفي حماة حُمَيرة او بنت الحمرة

أغلبهم المُدرى منهُ . وانتقال الحصبة بالعدوى يبتدئ في دور الهجوم ويدوم الى انتهاء دور الاندفاع (اي ظهور النقاط الحاصّ) وهذا مما يدلّ ويؤيد بانَّ جرثومة الداء تأتي من الطرق التنفسيَّة (كالافرازات الانفيَّة والخنجريَّة الشعبيَّة) اكثر ممَّا تأتي من الجلد. وقوَّة انتقالها لا تمتدُّ الى بعيد فقد يكفي بُعد بعض امتار لمنع سريان الداء.

ومن مميّزات جرثومة الحصبة ان تفقد سريعاً خصائصها المَرَضية. فاذا تَرَكَ ولدٌ أُصيب بالحصبة غرفتهُ يجوز ادخال اولاد غيرهِ الى تلك الغرفة في اليوم الثاني بدون خوف بعكس الدفتيريا كما سبق. والولد المصاب بمرض عمومي عَفَنيّ كحمَّى التيفوس والدفتيريا والقرمزية ليس بمأمن كما ذهب اليه البعض من الاصابة بالحصبة. والإصابة الاولى بهذا الداء تُولي غالباً الجسم المناعة لقبولهِ ثانيةً. اما جرثومة الحصبة فلم تُكتشف بعد وما وجدهُ البعض في مفرزات المريض لا يُعمل بهِ الى الآن اذ لم يتَّفق الجمهور على القبول بهِ. والاختبارات التي أُجريَت لتلقيح الحصبة لم تأتِ بنتائج مُرضية الى يومنا هذا والآمال معلّقة بامكان وجود ذلك

واوَّل حادثة خناق غشائي شاهدتُها في محلّ عيادتي هي في اوَّل شهر ايلول سنة ١٨٩٧ عند ولدٍ عمرهُ نحو ست سنوات. فعالجتهُ على الطريقة الاعتياديَّة لأنَّهُ لم يكن بعدُ وردَ لنا مصل فاستعملتُ لهُ المقيئات والحقن بمحلول الحامض البوريك وماء الكلس وتنظيف الاغشية الكاذبة ثمَّ مسّها بمحلول «كوشه» واعطاء المقوّيات الخ. وقد حصل الشفاء والحمدُ لله بهذه المعالجة

ولمَّا ورد الينا المصل المضادّ للدفتيريا طفقنا نعالج هذا الداء خصوصاً بحقن ما حُضِّر منهُ في معمل باستور. والحقُّ يُقال بان العلّامتين «رُو وبهرين» باكتشافهما هذا العلاج المهمّ قد خدما الانسانية خدمةً لا تُقدَّر فكل حادثة كان يُحقَنُ بها العليل منذ الابتداء كانت بنوع ما مؤكدة الشفاء. ولكن اذا وصل المرض الى درجة شديدة وصار التأخر في المعالجة لم تعُدْ تفيد حقنة المصل سيَّما وانَّ الطبيب في حمص لا يكون اتصل لاقناع اهل العليل باجراء ذلك الَّا بعد شقّ النفوس. فاذا عرض ثاني مرَّة الحقن كان يذهب كلامهُ غالباً ادراج الرياح

وفي اغلب الحوادث كان يعقب الحقنةَ ارتفاعٌ قليل في درجة الحرارة يدوم بضع ساعات وفي البعض منها ظهر قليل من الشرى لم يَدُمْ طويلاً. وقد ازدادَ مقدار الزُّلال الموجود في البول قليلاً في مدَّة اليومين التاليين الحقنة على اني لم أُلاحظ في كل الحوادث

التي شاهدتها وتتبعت مشاهدتها الى النهاية لانَّ عندنا هنا كثيرًا من المرضى يأتون الى الطبيب فيستشيرونهُ ولا يعالجون. وسبب ذلك العادة التي اعتادها الاطباء ان يفحصوا المرضى بدون اجرة والتشخيص تُحسب اجرتهُ مع ثمن الدواء اذا ما اعتمد العليل او اهل العليل على اخذهِ

ومن خصائص وافدة الدفتيريا هذه انها كانت تزول ثم تهبُّ من رقادها فتفتك بالاولاد فتكًا ذريعًا. وقد شاهدتُ خمس حوادث في بيتٍ واحد كان الداء ينتقل من ولدٍ الى آخر لعدم اتباع الوصايا التي كنَّا نجود بها بسخاء على المرضى الى حدّ ان قيل فينا اننا نحبُّ كثرة الكلام. وشاهدتُ في بيتٍ آخر اربع حوادث متتابعة ايضًا

واغلب حوادث هذه الوافدة كانت مقتصرة على الخناق الشائي (المسمى بالدارج خانوق) ولم يُشاهَد كثير من حوادث الذبحة الشائية. ففي مشاهداتي الخاصَّة التي تربي على الستين لم أَرَ الَّا ثلاث حوادث ذبحة غشائية: الواحدة عند ابنة عمرها نحو اربع سنوات ظهرت فيها أعراض الداء بغتةً على قول والدها انَّها كانت فقط مذ يوم واحدٍ منحرفة الصحَّة بيدَ انها كانت لا تزال تمرح وتلعب. فلمَّا شاهدتها اجريتُ لها حقنة ثقنية مصل اي عشرة سنتيمترات مكعَّبة وفي الغد ازدادت معها الاعراض شدةً فحقنتها بعشرة سنتيمترات أُخرى لكنَّ ذلك لم يجدِ نفعًا. والثانية في ولدٍ عمرهُ ستّ سنوات ظهرت فيهِ أَوَّلًا الأغشية الكاذبة على اللوزتين والحلق ثمَّ امتدَّت بسرعةٍ الى الحنجرة ولمَّا حقنتهُ بعشرة سنتيمترات مكعبة توقَّف ازدياد المرض قليلًا وبالاهتمام مع عناية الباري تيسَّر لهُ الشفاء. وبُعيد ذلك كان ابواهُ قد نذروا انهُ اذا شُفيَ ولدهما يحلقان لهُ ولاخيهِ الاصغر في دير مار جرجس فذهبا بهما على اتمّ الانشراح وبعد ايابهما بنحو خمسة عشر يومًا اي بعد تمام شفائهِ بنحو شهر أُصيب بالحصبة. ومن الاقدار التي لا مردَّ لاحكامها انَّ الذبحة الشائية عاودت الكرَّة عليهِ وذهبت بحيوتهِ في مدَّة وجيزة جدًّا بدون ان تمهلنا لنحقنهُ بالمصل. ولسوء الحظّ بعد يومين شنَّت الحصبة غارتها على أخيهِ ولمَّا صار دور اندفاع النفّاط دُعيتُ لمشاهدتهِ فحقَّقت انَّهُ مصاب بالحصبة وانَّ الذبحة الشائية قد حلَّت ضيفًا ثقيل الوطأة على حنجرتهِ فحقنتهُ بحقنة مصل لكنَّهُ في ساعة تحريري هذه الاسطر في درجة من الخطر لا يؤمل فيها الشفاء

فليعتبر الاهلون الذين يسخرون منَّا لمَّا ننصحهم بالتحفُّظ وبابعاد الاولاد السليمين ونحن

بنظرهم « لا يقين لنا بالله تعالى اذ اننا لا نسلم الامور على قولهم لعنايته الصمدية » مع ان هذا القول ينطبق عليهم اذ أنهم لكسلهم وتهاونهم يلقون اتكالهم على الله و يكتفون بذلك ليوفروا قليلاً من التعب في اخذ الاحتياطات اللازمة وحاشا للباري تعالى ان يسر من اتكالهم هذا الذي هو الجهل بعينه . . . . فكم وكم كنت انصح لأهل هذين الولدين باخذ الاحتياطات اللازمة لمنع انتشار مفرزات المريض الاول فما كنت اراهم الا مستهزئين بنصائحي بقولهم : « الله المسلم يا شيخ » . فكأنَّ جراثيم الدفتيريا الوخية كانت لم تزل موجودة في الغرفة فلما ظهرت الحصبة بذينك الطفلين أعدّت جسميهما لقبول تلك الجراثيم الربية المنتظرة فرصة مناسبة فجرى ما جرى مما يذوب له القلب كمداً

ولا يخفى انَّ الدفتيريا التي ترافق الحصبة تكون شديدة الخطر سريعة تقتل العليل في مدة قليلة وان لم تكُ أعراضها الظاهرة شديدة بَيدَ انها أتت بالصورة الخبيثة السامة . وكثيراً ما رافق وافدة الدفتيريا هذه ظهور حوادث التهاب اللوزتين البسيط والتهابها الحويصلي (الهربسي) والتهاب التكفة فكان ذلك داعياً لإلقاء الرعب في قلب الاباء والامهات ولتثبيط تشخيص الاطباء . . وحوادث وافدة الدفتيريا التي تمكنت فيها من اجراء حقن المصل لم يظهر في اثنائها اعراض ردية بوجه الاجمال سوى في حادثة اعتبها بعد شفاء العليل بعدة بضعة ايام (رغب ان كان زال تماماً الزلال الذي ظهر في البول في آونة المرض) ظهور التهاب كليتين حاد مصحوب بضيق نفس مخيف كاد يذهب بحياته . وفي حادثة أخرى قرب انتهاء الخناق الغشائي تقرحت غدد العنق الليمفاوية من الجهة اليسرى ولدى بطها خرج منها صديد متماسك ذي رائحة كريهة يشبه صديد الخراجات الباردة الدرنية . وحصل ايضاً ظهور خراج محل حقنة المصل رغماً عن التدرع بجميع وسائل مضادات العفونة قُبيل اجراء الحقنة التي بقي محلها مدة نحو ثمانية أيام سليماً لا اقل اثر التهاب فيه . ولدى البط خرج ايضاً صديد يشبه صديد الخراجات الباردة

وفي حادثة أخرى عقب شفائها بنحو شهر ظهر في العليل الفالج الدفتيري في شراع الحلق والبلعوم مع الاعراض المزعجة التي تصاحب ذلك . وقد رافق هذا الشلل التهاب شعب كثير الافراز نتيجة أرجح حصوله عند دخول بعض اجزاء صغيرة من الاغذية الى الجهاز التنفسي (ستأتي البقية)

نظر في ترقّي العلوم في الربع الثاني من سنة ١٨٩٨ *

للاب غدفريد زُمُوفن اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في كليّة القديس يوسف

١ علم الهيئة

١ (النجوم المذنّبة) ان النجوم المذنّبة المكتشفة منذ ثلاثين سنة (اعني من غرّة كانون الثاني ١٨٦٨ الى رأس السنة ١٨٩٨) كثيرة جدًّا يبلغ عددها ١٣٥ نجمًا رصدها علماء الهيئة فتمكّنوا من ضبط سيرها في الفضاء. ومن جملتها ٣٧ نجمًا دوريًّا مذنّبًا ظهرت بعد اختفائها مدّةً معلومة وهي قد مرّت بكرتنا في ما مضى من الزمان. والسنوات التي كثر فيها ظهور المذنّبات هي ١٨٨١ و ١٨٩٢ و ١٨٩٦

٢ (سيّارة المشتري) ظهر على سيّارة المشتري في نصف كرتها الشمالي كُلفتان كبيرتان احداهما ضاربة الى التمهة وهي على شكل اهليلجي. والاخرى كالربابة (الكمنجة) ولونها الحُلكة يشوبها الاحمرار. امّا مدّة دوران هاتين الكلفتين فغير محقّقة الى هذه الغاية ولا بُدَّ لذلك من أرصاد فلكية طويلة

٢ الطبيعيات

١ (تلغرافات جديدة بدون سلك) قد ورد في مجلّتنا (ص ٧ و ٣١٩) ذكر بعض تلغرافات بلا اسلاك واليوم نشير الى ثلاث آلات حديثة من هذا القبيل:

اوّلها تلغراف قد نصبتهُ شركة انكليزية تدعى (Wireless Telegraph C°) بين مدينة بُرْنَموث (Bournemouth) والجزيرة وَيْت (Wight). وبُعد هذين المركزين ٢٣ كيلومترًا ومع طول هذه المسافة لم تنقطع المراسلة بينهما منذ يوم الاختراع. اليك شرح الامر على وجه الاختصار:

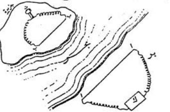
ان هذا التلغراف يشبه تلغراف مُرْس المشهور الّا أنّهُ بدون اسلاك يدخل في تركيبهِ بعض ادوات صغيرة. والجهاز المستخدم في مدينة برنموث قد جُعل في بيتٍ موقعهُ على شاطئ البحر وبازاء البيت خشبة منتصبة علوها ٣٥ مترًا ينحدر من رأسها سلكٌ او شبكة من النحاس الاصفر المحجوز عرضها ٢٠ سنتيمترًا. ويُشترط الّا يمسّ السلكُ او الشبكة الخشبةَ وامّا طرفها فينفذ القاعة التي بها الجهاز

* راجع الصفحة ٣١٧ من المشرق

ووجه تنظيم الجهاز على غاية السذاجة . وذلك ان يُجعَل الباعث على طاولة بالقرب من كرة القاعة وهو يتركّب من لفّة ثانوية (bobine d'induction) طولها ٢٥ سنتيمترًا ومن مفتاح مُرس (manipulateur Morse) . ويوضع بالقرب من الطاولة صندوقة معدنية فيها القابل والمُلصِق (cohéreur) والمُوقِف (relai) والمطرقة والراقم المُرسيّ المعهود مع بعض الآنية الكهربائية . ويحرّك اللفّة الثانوية هو بطارية صغيرة وبواسطتها تُطلَق الشرارة بين كرتين من النحاس على بُعد ٢٥ مليمترًا . واحدى الكرتين متّصلة بالسلك العمودي وتوضع الأُخرى على الارض . امَّا المُلصِق فطوله ٣٥٧ مليمترًا وهو بمنزلة آلة محرّكة للموقف الذي غايتهُ ايصال السيّال الكهربائي (او منعه) بين البطارية وجهاز مرس القابل للرقم

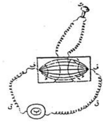
هذا في محطة بيروت . امَّا محطَّة الجزيرة فتُجهَّز فيها الادوات نفسها والمخابرة بينهما سهلة الَّا انَّهُ يطرأ عليها بعض التأخُّر اذ لا يجاوز عدد الكلمات حدَّ ١٢ كلمة في الدقيقة . وليس في ذلك ما يستدعي العجب لان الاختبار حديث فالشركة التي اخترعت هذا التلغراف لم تقصد منهُ في بدء الامر سرعة المراسلة بل سلامتها

واليك تلغرافًا ثانيًا دون سلك وهو بسيط جدًّا . فانك تمدُّ على شاطئ البحر سلكًا طولهُ كيلومتر . وتوصل طرفيه بآلة كهربائية قويَّة (ك) ثم تجعل في جزيرة موقعها بازاء البرّ سلكًا آخر مُوازيًا للاوَّل (ب ب) يكون طرفاهُ مربوطين بآلة تيليفونية (ت) . (راجع الشكل الاوَّل) فاذا اجريت سيَّالًا كهربائيًّا في السلك الاوَّل قبِل السلك الثاني سيَّالًا ثانويًّا يعمل في التليفون فيُسمَع الصوت



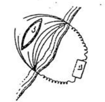
الشكل الاول

ودونك تلغرافاً ثالثاً استخدم السنة الماضية في بُستدام من اعمال المانية . والمبدأ الذي اعتمد عليه المكتشفون في اختراعه هو أنك اذا وصلت قطبَي (ق ق) بطارية (ب) بصفيحة فلزية (ف ف) رأيت حالاً بين القطبين خطوطاً (١١١١) تسمى خطوط قوة (lignes de force). وشدة امتداد هذه الخطوط تكون متفاوتة على تفاوت بُعدها عن القطبَين ثمّ اذا جمعتَ بين النقط المتساوية الشدة ألفتَ خطوطاً (د د د د) يقال لها خطوط مساواة (lignes de niveau). فاذا وضعت تليفوناً (ت) على نقطتين شتّى من خط مساواةٍ واحد فلا تجد بينها من فرق ولا تسمع صوتاً في التليفون. امّا اذا جعلتهُ على خطوط مساواة مختلفة فللحال يتولّد في التليفون مجرى كهربائي ذو صوت (انظر الشكل الثاني)



الشكل الثاني

فبناء على هذا المبدأ اذا غمستَ مثلاً في بحيرة او بحرٍ صفيحتين فلزيتين مواصلتين لقطبَي آلة كهربائية قويّة تدعى دينامو يتولّد في الصفيحتين خطوط قوّة كما قلنا . فاذا انزلت من سفينة او سفينتين تليفونين بحيث انهما يمسّان خطوطَ مساواةٍ مختلفة سمعتَ في التليفونين اصواتاً تقدر على ضبطها بواسطة آلة الدينامو التي في البرّ . فذلك كما ترى وسيلة جديدة سهلة للمراسلة بين البرّ والبحر (راجع الشكل الثالث)



الشكل الثالث

٢ (طريقة لتسييل الهواء مع بيان خواصّ الهواء المائع) لا يخفى ان الغازات يمكن ان تُحَوَّل مائعة اذا ضُغطت ضغطاً لانقاً مع اعمال البرد فيها

امّا الهواء فانّهُ يقتضي تبريداً جسيماً يبلغ مائة واربعين درجة تحت الصفر . وقد اكتشف المعلّم لِندي (Linde) من اهالي مدينة مونيك جهازاً يمكن بهِ من تسييل الهواء وهو على غاية البساطة . ومبدأهُ هو ان انفجار كل غاز من نافذةٍ ما يسبّب تبريداً تكون درجتهُ مناسبة لقدر اقتراب الغاز الى حال سيلانه . وعليهِ فجهاز المسيو لِندي عبارة عن وعاء يُضغط فيهِ الهواء ضغطاً قويّاً . ثمّ انبوب (شبيه بانبوب الانبيق) يتبرّد فيهِ الهواء المنبعث من الوعاء المذكور ثم انبوب ثانٍ ينفجر فيهِ الهواء انفجاراً شديداً فيتجمّع . وهذه الآلة البسيطة كان اختراعها منذ سنة ١٨٩٥ . امّا اليوم فقد اكتُشفت آلات أُخرى يُسيلون فيها الهواء بكمّية وافرة

ومن خصائص الهواء السائل انك اذا صببت قليلاً منهُ في إناءٍ من الزجاج او الخزف تراه يغلي ويفرغ الى ان تنحطّ حرارة الإناء الى درجة ١٨٠ تحت الصفر

واذا اسقطتَ قطرةً من الهواء السائل على صفيحةٍ تراها تتفلّك وتتحرّك وتدور بسرعةٍ كقطرة من الماء تقع على صحيفة من الحديد المُحمَّى

واذا كان الهواء السائل خالصاً فهو شفّاف ولونه ضارب الى الزرقة ولا يتحوّل الى بُخار الّا بعد مدة ساعة

ومن الاختبارات العجيبة انك اذا غطستَ قطعة حديد في اناء مملوء من الهواء السائل عند تبخيره ثمّ استخرجت الحديد بعد مدة وجيزة تجده قصماً سريع الانكسار

٣ علم الحيوان

(قوّة الفيل) من الاختبارات المفيدة التي اجراها المسيو بَيلي (Bailey) الانكليزي في ملعب بَرنوم (Cirque Barnum) انهُ قابل ما يستطيع جذبهُ كلٌّ من الفيل والخيل والانسان . وذلك انّهُ قد نصب في الارض آلةً لقياس القوى (Dynamomètre) ترقى اثقالاً فوق ٣٠ طنّاً . ثم ربط فرسين مضروديّ الخلق بكلّاب الآلة المذكورة فجذبا بجرّانه . واجتذبا اللولب الى درجة تناسب قوة ١٢٢٠ كيلوغراماً . ثم ربط فيلاً متوسط الجسم بالمقياس وقرنهُ بحبال مشدودة برأسهِ . فجرّ اللولب الى ما يوازي

٥٥٨٨ كيلو . ثم قرن بالآلة رجالاً اقوياء فلما انتهوا من اجتذابهـا الى الدرجة التي ادركها الفيل اخذ يمدُّهم واذا بهم ٨٣ رجلاً . فتأمل .

٤ علم الزراعة

(اكتشاف شجر قطن عظيم) قد لاحظ المسيو كيـل (Kyle) في بلاد كنُغو بالقرب من محلّ كان ضرب فيه خيامهُ بقيناً من اشجار القطن الشاهقة يبلغ ارتفاعها ستة امتار . وعلى كل منها عُطبة جسيمة من القُطن . امَّا ساق الشجرة فهو جذْل دون اغصان ولهُ حبٌّ في اسفله ينبت في اصل اوراقهِ العريضة . فلما رأى السيد المذكور تلك الاشجار العجيبة وفكَّر انَّ في غرسها توسيعاً معتـبرًا لنطاق الزراعة اقتطف شيئاً من بزرها فاعطاه زارعاً اميركيًا ليبذُرها فيخبره عن نتيجة اختباره . فاخذها الرجل الاميركي وبذرها في تربة مساحتها ستة هكتارات . فلما نمت الاشجار وزكا زرعها رأت باثمارها اعلم المسيو كيـل انَّهُ لم يرَ قط مثل هذا القطن الافريقي العجيب الوافر الدَّخل . وان بين الاشجار المذكورة ونباتات القطن الاميركية المتنوعة فرقاً عظيماً من كل الاوجه . وخلاصة ما يُستنتج من هذا الاكتشاف الجليل انَّ من استعمل تلك البذور الافريقية يمكنهُ ان يقتصد مساحة ارضٍ تبلغ سُبعين في المئة وهو يجتني من القطن الكميَّة نفسها لكن ذي قبل

٥ علم الطبّ

(ضرر نُفاثات المسلولين الجفَّفة) كان العلامة فريك (Fricke) قد اكَّد ان الهباء المتصاعد من جُفاف نُفاثات المسلولين لا خطر فيها . وقد اعترض عليه حديثاً الدكتور كُرنت (Cornet) من برلين فاثبت بما لا مردَّ عليه من البراهين الحسّيَّة ان زعم المسيو فريك غير مطابق لحقيقة الحال . واليك نص كلامه قال :

« قد بسطتُ في غرفة من غُرَف الدائرة الصحية الامبراطورية فراشاً نظيفاً ونثرت عليهِ نفاثات مسلول خلطتها بالتراب . ثم اقفلت القاعة وتركتها على حالها مدة يومين

ثم ادخلت فيها ٤٨ خنزيرًا من الخنازير الهندية (Cobaye) وجعلت بعضها على رفوف متفاوتة العلو من مترٍ الى ٧ امتار . وتركت البـاقية على صحن القاعة . ثم كنَّست البساط بمكنسة غليظة حتى امتلأت القاعة من هبوة الغبار

« فلمَّا مضت مدَّة من الزمان رجعت الى القاعة فوجدت ٤٦ خنزيرًا قد أُصيب بداء السلّ. ولم اقدر على صيانة نفسي منهُ مع ما اتخذت من وسائل الحذر. فاني كنت قد لبست ذُرَّاعة كبيرة تحجب جسمي كلَّهُ. ووضعت على رأسي كمَّة وعلى وجهي لثامًا كثيفًا فيهِ ثُقبان للعُوينات. ورغمًا عن كل ذلك فتولَّج المكروب الى انفي. وانما تحقَّقتُ ذلك بتأثيح احد الخنازير الصحيحة بمخاطي فلم يلبث الّا يسيرًا حتى اصابهُ المرض كسائر الخنازير »

والحق يقال ان في هذا الاختبار برهانًا متنعًا على ما في انبثاث الغبار الساطع من نفثات المسلولين من الخطر العظيم

٦ علم الجغرافية

يعلم القرَّاء انَّ المسيو اندري (Andrée) السويدي قد باشر رحلةً علميَّة الى القطب الشمالي فجهَّز لذلك منطادًا خصوصيًا سماهُ أرنين (Ornen) فركبهُ هو واصحابهُ بمدينة ڤيرغو (Virgo) من اعمال سبيتزبرغ في ١١ تموز من السنة المنصرمة

ولا يُعرف حتى الآن اين وصلوا. انَّما الخبر الوحيد الذي ورد من سفرهم كتابةٌ وجيزة حملتها حمامة من سُعاة الحمام بتاريخ ١٣ تموز ١٨٩٧ وكانوا وقتئذٍ قد ادركوا الدرجة ٨٢ ودقيقتين من العرض الشمالي والدرجة ١٥ و ٥ دقائق من الطول الشرقي وهاك نصّ رسالتهم: « سفرُنا الى الشمال سعيد وحال الراكبين جيد. وهذه البطاقة هي ثالثة الانباء التي ارسلناها بواسطة الحمام »

يُستدل من هذه الكتابة على ان المسافرين قد ساعدهم الجوّ اذ قطعوا في مدة ثلاثة ايام نحو ٣٠٠ كيلومتر فهل تغيَّرت حالة الجوّ بعد التاريخ المذكور او طرأ عليهم حادث من الحوادث او هلكوا من الزمهرير في تلك الانحاء القارسة. فلا سبيل الى الجواب على هذه الاسئلة. ولذلك عزمت الشركة الانثروبولوجية السويدية على ارسال الدكتور ستراد لنغ (Stradling) الى القطب الشمالي ليفتّش عن امر هولاء المساكين فمنذ بضعة ايام غادر الدكتور مدينة ستوكلم ولا يرجع الّا في شهر كانون الثاني من السنة الآتية. والله المسؤول ان يمدّهم بعونهِ فيخلصوا جميعهم من الهلكة

هذا ما يختص بالاسفار الى القطب الشمالي اما القطب الجنوبي فقد عمدت الى زيارتهِ شركة بلجكية رئيسها المسيو دي جرلاش (de Gerlache) فركبوا البحر على سفينة

بلجكا (Belgica) في مرفأ پنتاس ارناس من بلاد شيلي واخذوا معهم حمامتين . وعند وصولهم الى اوشرايا (Ushuaia) وهي فرضة صغيرة من اقاصي ارض النار ارسوًا مدةً لاتخاذ الفحم . فلما انتهوا من ذلك وابتعدوا عن شاطئ الجزيرة وقطعوا رأس هُرن ارسل المسيو دي جرلاش الحمامتين فلم يرجع الى پنتاس ارنــاس سوى احداهما . امّا مضمون الكتابة التي اتى بها الطير هو ان حال السفينة والمسافرين حسنة وانهم يتوجهون توًّا الى القطب الجنوبي

واجمع العلماء القول بانّ بعثة البلجكيين ستكلَّل بالنجاح وان النتائج العلمية التي تفوز بها ستكون على غاية الفائدة لجغرافية الانحاء الجنوبية

٧ فنون البنيان

١ (دولاب باريس العظيم) ان الدولاب العظيم الذي سيدور في معرض باريس سنة ١٩٠٠ سيكون على مثال دولابٍ شُوهد في معرض شيكاغو الاخير . وقد تمّ تجهيز اجزائه وبوشر باقامته في ساحة سوفرين (Suffren) والغرض منهُ ترقية الزُوّار دون ادنى ارتجاج الى علوّ ١٠٠ متر لمشاهدة عجائب المعرض

ومادّة الدولاب الفولاذ وقطر دائرتها ١١٠ امتار وثقلهُ ٨٠٠ طنّ . امّا محرّكهُ فآلة بخارية شديدة تديرهُ بواسطة حبلين معترضين عليهِ . ومدّة كل الدوران ستكون ٢٠ دقيقة

٢ (السكة الحديدية في سيبرية) أُخبر من مدينة تمسك ان اوّل قطار بلغها رأساً من بطرسبرغ قد غادر عاصمة روسية صباح ١ نيسان الساعة ٩ فانتهى الى تمسك اليوم السابع من الشهر المذكور الساعة ٥ بعد الظهر . ومن عجائب هذا المشروع البهي انهُ ليس في المسكونة سكة حديدية سواها يسير عليها القطار ستة ايّام وستّ ليالٍ دون انقطاع والعجلات كلها محكمة البناء لا يشعر المسافر بحركتها ولا يسمع دويّ دواليبها . والتنوير فيها بالكهرباء . وفي وسط العجلات مخدع للمطعم وآخر للمكتبة وغيرهُ للآلات الموسيقية وللآلات الرياضية

والحكومة الامبراطورية ساعيةٌ في اتمام هذا المشروع باقرب وقت . الّا انّ شدّة البرد تحول دون السرعة في العمل فتنقطع الاشغال سبعة اشهر في السنة

٨ المناطيد الحربية

لا خفاء ان للمناطيد الحربية فوائد عظيمة اذا ما احسن العساكر وجه استخدامها في الجوّ . فلذلك كلَّما ازدادت الاكتشافات المؤدية الى تدبير حركة المناطيد ازدادت من جهة اخرى الاختبارات المؤدية الى منعها والحذر من شرّها. مثال ذلك الاختبارات التي جرت حديثاً في ميدان انتربوك (Interbogk) بالقرب من برلين كانت خلاصة نتائجها ان رصاص البندقيات المُرسَل الى علوّ ١٠٠٠ متر لم يؤثر في المناطيد شيئاً لانَّ ضغط الجوّ يسدّ للحال كلّ الاثقاب التي تمسها القذائف فيمنع انفجار الغاز الموجود في المنطاد. امَّا المدافع فانَّها تستطيع ان تسقط المناطيد عن علوّ ٤٠٠٠ متر لان القذائف تسبّب في اغلفتها خروقاً واسعة لا طاقة لضغط الهواء على اصلاحها

٩ الصنائع والتجارة

١ (مقدار نفاد القهوة) قد بلغ استعمال القهوة في الولايات المتحدة حدًّا لا نظير لهُ في سائر اقطار العالم. فان اهالي هذه البلاد قد انفدوا ٣١٨,١٧٠ طنًّا من القهوة اي اكثر ممَّا استنفدهُ جميع سكان اوربَّة الذين لا ينفقون منها سوى ٣٠٥,١٥٠ طنًّا

امَّا البلاد الاوربية التي احرزت قصب السبق في هذا الميدان بعد الولايات المتحدة فهي اوَّلاً المانية (١٣٦,٣٩٠ ط) ثم فرنسة (٧٧,٣١٠ ط) ثم ايطالية (١٢,٥٠٠ ط) ثم انكلترة (١٢,٤٢٠ ط)

٢ (الالماس) نشرت مجلّة (The Mineral Industrie) الانكليزية جدولاً لبيان كمّيّة تعدين الالماس في افريقية الجنوبية سنة ١٨٩٧ فاليك بعض ما ورد في الجدول المذكور :

ان مستعمرة الرأس قد استخلصت الماساً يبلغ قيمتهُ ١٠٠ مليون فرنك. ودولة أُرانج المستقلة ١٠ ملايين. امَّا مبلغ كل ما استُخرج في العالم من الالماس فصنع محلّي سنة ١٨٩٧ فانهُ يرتقي الى جملة ٥٣٧,٥٠٠,٠٠٠ فرنك

ويستفاد من هذه الاعداد ان الالماس الموجود في غير افريقية الجنوبية قليل جدًّا وبلاد برازيل التي كانت لها اليد الطولى في معامل الالماس لا ترسل اليوم سوى الماس اسود يُستخدم في الصنائع

٣ (مبارزة بين الدرع والمدفع) من المعلوم ان الدروع وصفائح السفن الحديدية لم تكن وافية بشروط الدفاع قبل اكتشافات المسيو هرڤي (Harvey) (راجع المشرق عدد ١٢ ص ٥٢٩) امّا الدروع التي اخترعها العلّامة المذكور فهي متألّفة من النيكل والفولاذ المختلطين على مقادير معلومة بحيث ان وجه الدروع يكون متصلّباً غير قابل لنفوذ قذيفة من القذائف. الّا ان مادة صفائح هرڤي قصمة يعيبها خلل فالكرات تشق وجهها لا سيّا قنابل هُلتزر (Holtzer) القوية

والآن اخبرتنا المجلات الاوربية ان مهندسي معمل كروپ المشهور قد اخترعوا صفائح نكلية جديدة يُحصل عليها بواسطة الغاز وهي على ما يقال امتن من دروع هرڤي واصلب منها حتى انها لا تقبل ادنى تأثير من اقوى القذائف واضرّها

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما قبل)

٨ كتب شتّى

يبقى لنا لتعريف اعمال ابن العبري ان نذكر لهُ بعض تآليف لم تدخل في الابواب السابقة لعدم علاقتها بموادّها فأفردنا لها باباً خاصّاً

واوّل هذه التصانيف كتاب لابي الفرج في تفسير الاحلام (ܕܘܠܫܐ ܕܚܠܡܐ) وضعهُ وهو في ريعان شبابه بناءً على مراقبة الكواكب ورصد البروج كما فعل ابن سيرين عند العرب. ولا يخفى ما في هذا الامر من الشعوذة والخرافات اذ لا يجوز تصديق الأحلام ما لم يأتنا الله بدليل صادقٍ على ارادته عزّ وجلّ كما فعل مع يوسف الحُسن او دانيال النبي

والكتاب الثاني الذي لم يمكنا ادراجهُ فيما سبق هو كتاب تفسير إيروثاوس (ܕܘܠܫܐ ܕܐܝܪܘܬܐܘܣ) وكتاب ايروثاوس من تآليف اسطفان بَرْصُدَيلي في اوائل القرن الخامس المسيح كان هذا من زنادقة عصره يذهب الى مذهب الطبيعيين واللاحدة يقول

بتألّه الكائنات وينكر خلود عذاب الجحيم تنفث سمّ تعاليمه في كتاب نسبهُ لايروتاوس تلميذ بولس الرسول على زعمه وأوّل اساقفة اثينة قبل القديس ديونيسيوس الاريوباغي. فسرى هذا التأليف بين هراطقة السريان يتناقلونهُ سرًّا. ولمّا جلس على كرسي انطاكية تاودوسيوس البطريرك اليعقوبي (٨٨٧ – ٨٩٦ م) وضع شرحًا مطوّلًا على كتاب ايروتاوس. فجاء بعدهُ ابن العبري وهذّب هذا التفسير ورتّبهُ (١ وكان هو عنهُ في غنى سامحهُ الله.

وفي مكتبتنا الشرقية نسخةٌ قديمة من هذا الكتاب السرّي وجدناها في مدينة آزخ ينقصها بعض صفحات في اوّلها وآخرها وهي تختلف عن نسخة باريس (Fonds syriaque, Ms. 227, n° 4) واما اصل كتاب برصُدَيلي فانّها توافق ما كتبهُ فرُتنغام (٢ عن أقسام هذا الكتاب وهو سبع مقالات او ميامر وكلّ مقالة تحتوي عدّة فصول

وقد ورد ايضًا لابن العبري في بعض كتب باريس الخطّية (عدد ١٤٦ ص ١٦١) خطبةٌ في التوبة مكتوبة بالكرشوني تُقرأ عند الباعوثة كرتّاة على الجنازة

فهذه هي الكتب او قل بالاحرى الدرر الثمينة التي خلّفها ابن العبري لنصارى الشرق وهم يتوارثونها ككنز يفتخرون به ونبراس يستضيئون باشعّته طالما لاح كوكب في السماء وغرّدت فوق الأيك ورقاء

١٢

قد انجزنا في ما سبق لنا من الكلام بوعدنا ان نستقري اعمال ابن العبري ونستوفي بذكر ما انتجتهُ قريحتهُ الوقّادة من التآليف النفيسة. بيد أنّنا لا نودّ ان نختم مقالتنا هذه دون ان نكشف القناع عن بعض ما فرط لابن العبري من الاغلاط ليأخذ القرّاء منها حذرهم عند مطالعة كتبه العديدة والمثل يقول انّ غلطة العالِم يضلّ لها عالَم. وقيل ايضًا:

زلّة العالم يُضرَب بها الطبل وزلّة الجاهل يُخفيها الجهل

واوّل ما نأخذ على ابن العبري انتصارهُ لشيعة المونوفيزيتين اي القائلين بطبيعة واحدة في المسيح. ومن المعلوم انّ هذه البدعة نابت المجمع الرابع المنعقد بخلقيدونية (سنة ٤٥١ م) حيث أبسل الآباء اوطاخي وديوسقورس وبرصوما وندّدوا باضاليلهم

---

١) راجع Frothingam: *Stephen Bar Sudaili and the book of Hierotheos*, p. 8

٢) *Ibid.*, 91 - 111

فدحضوها. الّا انّ اشياع هؤلاء المبتدعين لم يزالوا يتلوّنون كالبي براقش ليتملّصوا من حكم الكنيسة وكثيرًا ما تضاربت اقوالهم في طبيعتَي المسيح. فكانوا في بادئ الامر لا يسلّمون الّا بوجود طبيعة واحدة. فلمّا بيَّن لهم الآباء صريحًا ببراهين عقلية ونقلية ان في قولهم شططًا كبيرًا اخذوا يقولون بالطبيعتين الّا انّ بعضهم زعموا انّ تينك الطبيعتين امتزجتا امتزاج الخمر بالماء فنتج عن اختلاطهما طبيعة اخرى جديدة. ومنهم من ذكر هذا الامتزاج غير انّهم ارتأوا انهُ حصل باتحاد الطبيعتين طبيعة مركّبة (ܟܝܢܐ ܡܪܟܒܐ) او طبيعة مضاعفة (ܟܝܢܐ ܥܦܝܦܐ) وهذا القول الاخير هو الذي شاع عند اليعاقبة. وفي كُتُب ابن العبري ما يُشعر بهذا الضلال لا سيَّما في الدستور الذي وضعهُ للايمان وفي كتابهِ منارة الاقداس (راجع ص ٥٥١)

وممّا قالهُ في قانون الايمان: « أنّنا نؤمن . . . انّ في سيدنا يسوع المسيح طبيعتين هما اللاهوت والناسوت. وانّ اتحاد لاهوتهِ مع ناسوتهِ اتحادٌ عجيب يفوق كلَّ وصف صار بلا اختلاط ولا تبلبل ولا تغيّر ولا تحوُّل ولا امتزاج. وقد سَلِم الفرق بين الطبيعتين القائمتين في ابنٍ واحدٍ ومسيحٍ واحد واقنوم واحد ». وهو لعمري قول جدير بأن يُرتجى. الذهب الّا انَّ صاحبهُ افسدهُ او قُل بالاحرى انّهُ ناقضهُ بما اردف: « والمسيح جوهر واحد ومشيئة واحدة وقوّة واحدة وعمل واحد ». فقولهُ جوهر واحد (ܐܘܣܝܐ ܚܕܐ) يبيّن ان ابن العبري جهل او تجاهل في معنى الجوهر. والجوهر كما لا يخفى هو الطبيعة المنفردة فترى كيف يكون للمسيح طبيعتان ولا يكون لهُ جوهران ؟

واما قول ابن العبري انّ « المسيح مشيئة واحدة وقوّة واحدة وعمل واحد » فقد زاد بهِ على ضلالهِ ضلالًا وتمذهب بمذهب المونوتليتيين القائلين بالمشيئة الواحدة. أفنسي سائحُ الله صلاة المسيح في البستان حيث يقول لابيهِ (متّى ٢٦ : ٣٩) : ليس كمشيئتي بل كمشيئتك ؟ ولا ريب في انَّ الربَّ يقابل هنا بين المشيئة البشريَّة والمشيئة الالهية. او كيف استطاع ابو الفرج ان يقول بعمل واحد في المسيح ؟ ألعلّهُ يقول انَّ الاكل والشرب والنوم والموت من اعمال الطبيعة الالهية ؟ او يزعم انَّ إحياء الموتى وطرد الشياطين وفعل المعجزات من اعمال الانسان ؟ . فبالحقيقة لا نفهم كيف فات ذلك ابنَ العبريّ مع سموّ مداركهِ وغزارة فهمهِ . فسحقًا للضّلال فانّهُ يعمي البصيرة ويُتيه صاحبهُ في بيداء الوهم والتُرّهات

هذا وانَّ اليعاقبة في زماننا لا يتجاسرون على ان يفرطوا في مقالهم عن طبيعتي المسيح ومشيئتيهِ وكثيرًا ما يضربون الصفح عن هذه المباحث الخطيرة لئلّا يدحض الكاثوليكيون حججهم الباطلة وقد بلغ الامر في ذلك الى أنهم لم يأتوا بذكر الطبيعتين في كتاب تعليمهم المسيحي المطبوع في دير الزعفران سنة ٢٢٠١ لليونان (١٨٨٩ م). ومنهم من يذهب الى انَّ هذه المسائل من عرَضيَّات الايمان ليس تحتها كبير امرٍ فيسوغ القول بها او العدول عنها على سواء دون ان يلحق بجوهر الايمان ضرر. وهكذا ارتأى ابن العبري نفسهُ في آخر مقالتهِ عن المرطقات في كتاب منارة الاقداس

ومن عجيب الامور أنك لا تكاد ترى في دساتير الايمان التي كتبها بطاركة اليعاقبة في هذا العصر من هذا القبيل ما تنبذهُ الكنيسة الكاثوليكية. ودونك ما ورد في دستور الايمان للبطريرك جرجس الرابع سنة ٢١٣٢ لليونان (١٨٢٠). واصل هذه الكتابة بالكرشوني محفوظ في خزانة مكتبتنا الشرقية تيسَّر لنا الحصول عليهِ في ماردين منذ ثلاث سنوات (١ قال :

« . . . . سادسًا ونؤمن ونعترف انَّ الجسد الذي اتحد بهِ الكلمة لم ينزل معهُ من السماء وليس هو خيالًا بل جسدًا حقيقيًا ابن طبعنا ذا نفسٍ عاقلة ناطقة. وأنَّ الطبيعة الغير المائتة والغير القابلة الآلام والاعراض الجسدانية سرتْ واتَّحدت بالجسد ذي الطبيعة المائتة والقابلة الآلام والاعراض وصار منهما مسيحٌ واحدٌ وابنٌ واحدٌ وشخصٌ واحدٌ فاعلٌ للآيات والعجائب (٢ وقابلٌ للاعراض كالتعب والنَّصب والآلام (٣ وطُعن بالحربة فجرى من جنبهِ دمٌ وماء ومن عاين شهد وشهادتهُ حقٌ. وذلك بالتدبير السرّي الذي هو يعلمهُ وقد شاء بهِ اذ ليس الناسوت فعل بهِ وحدهُ هذا الفعل كأنَّ اللاهوت مفترقٌ منهُ او بعيدٌ عنهُ. حاشا. بل باتحاد اللاهوت بهِ لانهما متَّحدان بوحدانية غير مفترقة في كلّ شيء من التدبير . . . لا في القوات اللائقة بالله ولا في الآلام اللائقة بالانسان بل الطبيعتان ثابتتان بوحدانيةٍ لا تضمحلّ ولا تفترق. والطبيعتان غير مختلطتين لئلا يضمحلا بذوق الموت بل الظافرةُ بالموت واعراضهِ متَّحدة بلا اختلاط مع التي ظفر بها الموتُ . . . . وهكذا

---

١) وفي خزانة كتابات بطاركة السريان الكاثوليك في ماردين عدَّة دساتير ايمان خطَّتها البطاركة اليعاقبة تشبه هذه قد اطلعنا عليها سيادة المطران حنَّا مسار بائي الجزيل الاحترام

٢) اعني من حيث هو اله ٣) يريد من حيث الناسوت

شهد القديس مار افرام (في ميمره الذي وضعهُ على الامانة) حيث يقول: «لو لم يكن انسانًا كيف كان يحملهُ سمعان الشيخ على ذراعيهِ ولو لم يكن الهًا كيف كان يطلب منهُ الانطلاق بالسلام الخ». وقال القديس يعقوب النصيبيني في كتاب الغفران... «خرج من بطن البتول بحال يفوق الطبيعة بما انهُ اله والتفَّ بالقماطات بما انهُ انسان. سبَّحتهُ الملائكة بما انهُ إله وتظرهُ الرعاة بالمغارة بما انهُ انسان الخ». فلأجل هذا نقول ان كلَّ ما يليق بالناسوت فهو لهذا المسيح الواحد... الذي احتمل الآلام بجسدهِ واقام الاموات بلاهوتهِ فاذًا ليس هو اثنين بل واحدًا مات بالجسد كانسان وظفر بالموت كاله...»

١٣

ومن اغلاط ابن العبريّ التي بها شرد عن الصراط المستقيم قولهُ في كتاب منارة الاقداس بانبثاق الروح القدس من الآب دون الابن. وهذا زعم غريب لم نعهد بمثلهِ عند اهل ملّتهِ اللهمَّ الّا في اعمال فيلوكسين المنبجيّ. واقوى برهان يفنّد هذا القولَ الشهاداتُ العديدة الواردة في كتب السريان والكلدان عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن معًا. ونكتفي هنا بذكر صورة الايمان التي وضعها آباء مجمع المدائن (كتيزيفون) في سنة ٤١٠ للمسيح قبل ابن العبري بنحو تسعمائة سنة فجاء في معرض عقيدتهم ما نصُّهُ: «ونعترف بالروح القدس الحيّ البارقليط المنبثق من الآب والابن». واتى ايضًا في ميامر يعقوب السروجيّ من مشاهير كتبة القرن الخامس: «ونؤمن ونعترف بان الروح القدس ينبثق من الآب والابن». وكتب البطريرك ديونيسوس الثالث في القرن العاشر الى مينّاس بطريرك الاسكندريّة: «نعترف ان الآب ليس وجودهُ من احدٍ اذ هو موجود غير مولود وانَّ الابن مولود من الآب منذ الأبد وانَّ الروح القدس فائضٌ من الآب والابن»

ومن الشهادات التي تدخل في هذا الباب وتدحض مزعم ابن العبري دحضًا تامًّا ما اتى في كتب السريان الليتورجيَّة. فمثال ذلك ما يُقرأ في نافور القديس كبوسطوس (١: قدّس يا ربّ هذه التقادم بان يحلّ عليها روحك القدّوس الذي ينبثق منك ازليًّا ويستمدّ من ابنك استمدادًا جوهريًّا»

وقد ورد في نافور ماروثاس والبطريرك اغناطيوس مثل هذه الاقوال التي تشير

---

١) راجع Renaudotii *Liturg. Orient. Collectio.*, II, 136

الى آية الانجيل في يوحنا (١٦: ١٤-١٥): «متى جاء روح الحق... هو يمجدني لأنهُ يأخذ مما لي ويخبركم. جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلتُ لكم انهُ يأخذ مما لي ويخبركم». ففي قول الربّ هذا برهان جليّ على انبثاق الروح القدس من الابن اتّفق عليه اكثر مفسّري الكتاب المقدّس من آباء الكنيسة الغربية والشرقية

ولا نظنّ ان اعتقاد اليعاقبة في يومنا هذا يختلف عن ايمان اجدادهم. فانّ البطرك جرجس الرابع الذي سبق ذكرهُ يقول في دستور ايمانهِ ما نصّهُ: «ليس هو (الروح القدس) آبٌ ولا هو ابن بل روح قدس وخاصّتهُ الانبثاق لانهُ منبثق من الاب ومستمدّ من الابن. قال القديس كوسطوس بابا رومية في كتاب رتبة التدّاس في دعوة الروح القدس: المنبثق منك ازليًّا والمستمدّ من ابنك جوهريًّا الخ». وورد في التعليم المسيحي المطبوع في دير الزعفران (ص ٦٤) برهان آخر على اعتقاد اليعاقبة حالًا بانبثاق الروح القدس من الابن فانّ كاتب هذا التعليم يبيّن هناك انّ الروح القدس هو روح يسوع ومن ثمّ منبثق منهُ ويسند قولهُ الى آية سفر اعمال الرسل (١٦: ٦) كما وردت في الترجمة السريانية

١٤

ولابن العبري ايضًا اضاليل أُخر وردت في كتبهِ منها زعمهُ في منارة الاقداس وكان سبقهُ الى هذا القول ديونيسيوس بَرصليبي († ١١٧١) انّ جوهريّ الخبز والخمر لا يستحيلان الى جسد ودم المسيح في القربان بل يتّحد بهما لاهوت المسيح مع بقائهما خبزًا وخمرًا. وهذا غلطٌ واضح ينفيهِ تعليم الكنيسة اليعقوبية فضلًا عن الكنيسة الكاثوليكية. وهاك ما ورد في الصفحة ١٨٠ من تعليم اليعاقبة :

س هل يبقى الخبز خبزًا والخمر خمرًا بعد التقديس

ج لا بل بعد التقديس يصير الخبز جسدًا والخمر دمًا

وفي الاسئلة والاجوبة التالية يبيّن كيف انّ عوارض الخبز والخمر باقية مع استحالة جوهريهما. وايمان اليعاقبة في هذا الامر لم يطرأ عليهِ ادنى اختلاف

وجاء ايضًا لابن العبريّ في كتاب المنارة قولٌ لا يرضى بهِ الايمان الكاثوليكيّ نقلهُ عن موسى بَركيفا احد مشاهير شيعتهِ ويزعم كلاهما انّ نفوس الابرار لا تدخل السماء بعد الوفاة بل تبقى في الفردوس الارضيّ الى يوم الدينونة فتجتمع باجسادها حينئذٍ وترث الحياة الابدية. وزاد ابن العبريّ على ذلك انّ هذا الفردوس سيكون بعد القيامة مسكنًا

لانفس قسم من البشر ليسوا من الابرار ولا من الصالحين. وكلا هذين القولين فاسد. امّا الاوّل فيبطلهُ اعتقاد معظم الكنائس الشرقية والغربية وهي كلّها تكرّم اولياء الله وتلتجئ الى شفاعتهم وتنعتهم بمشاهدته تعالى عياناً وذلك ممّا لا يصحّ القول به لو لم تحظَ هذه النفوس برؤيا الله عزّ وجلّ قبل القيامة. وامّا الثاني فهو قول لا يعبأ به والنصارى جميعاً لسان واحد في رفضه فانّهم على اختلاف مذاهبهم يقرّون بانّ بعد الدينونة حالتين فقط فيحظى البشر بالنعيم او يُلقَون في الجحيم وكلاهما ابديّ لا ينتهي (راجع متّى ٢٥ : ٤٦ الخ)

وقد استثنوا من هذا الحكم الاطفال المائتين قبل العماد فانّهم يُحرَمون معاينة الله لكنّهُ لا يعمّهم عذاب الحسّ. امّا سكناهم فقد تضاربت الآراء في تعيينها. فقال قوم انّها اليمبوس وقال آخرون انّهم يسكنون الفردوس الارضي وقيل انّهم يقطنون الارض

١٥

هذا وانّ ابن العبريّ قد اتّبع في بعض مزاعمه آراء ضعيفة (١ لقدماء اللاهوتيين والفلاسفة والطبيعيين لا يسعنا هنا تعدادها ودحضها فعلى من يعثر عليها في كتبه ان يعرضها على معيار الحكمة ويقابل بينها وبين ما تقرّر الآن عند علماء عصرنا فينكبّ عن جادّة الضلال

ومع ما ذكرنا لابن العبريّ من الاغلاط لا ننكر ما لهُ من عميم الفضل وطول الباع في جميع علوم الاقدمين وقد قيل ليس جوادٌ الّا ويعثر ولا كامل الّا الله عزّ وجلّ ولنا نحن الكاثوليكيين اسبابٌ خاصّة تبعثنا على إطراء هذا الرجل العظيم والثناء عليه لانّهُ مع كونه من شيعة انفصلت عن الكنيسة الرومانية منذ القرن الخامس قد اتى بشواهد جمّة تُفصح عن صحّة عقائدنا واستقامة ايماننا فان استقريت مصنّفاته لا تكاد تجد تعليماً واحدًا من تعاليم الكاثوليكيين ممّا نكرهُ عليهم أخصامهم الّا وتجد في تآليف ابن العبريّ عليه شهادات لا يشيبها ريب. ولو سردنا اقوالهُ عن كلّ هذه المعتقدات باباً باباً لاتّسع بنا المجال وطال المقال وحسبنا ان نذكر هنا بعض اقواله في رئاسة القديس بطرس والاحبار الرومانيين

فممّا ورد لهُ في هذا الشأن ذِكرُهُ لهامة الرسل في سجلّ عظماء الاحبار كخليفة لقيافا وحانان آخرَيْ احبار العهد العتيق فقال في تاريخه الكنسيّ (١ : ٣١) «وانتهت (بقيافا وحنان)

١) وفي الصفحة ٥٠ من تاريخ الدول قول لابن العبري في سفر الجامعة دحضهُ الاب صالحاني

رئاسة الكهنوت القديمة وابتدأت رئاسة الكهنوت الحديثة التي ثبّتها مخلّصنا لمّا جعل بطرس هامة الرسل وسلّمهُ «مفاتيح ملكوت السماوات. فقام اذن بعد رؤساء كهنة العهد العتيق بطرس رئيس كهنة العهد الجديد». فلعمر الحقّ انّ هذا القول لخالٍ من المعنى لو لم يفهم ابن العبريّ انّ لبطرس الصفا الرئاسة التامّة على الرسل اخوتهِ والكنيسة جمعاء. وانّ لخلفائهِ ليس فقط حقوق التقدّم والشرف على سائر الكنائس بل ايضاً حقوق الامر والسلطان كما كانت لعظماء احبار العهد العتيق. وفي شرح ابي الفرج على قول الربّ في انجيل متّى (١٦: ١٨) وفي انجيل يوحنّا (٢١: ١٥—١٧) ما يُشبه قوله السابق لا حاجة لاثباته

وقد ذكر ايضاً ابن العبريّ مراراً عديدة في كتبهِ كرسيّ رومية او بعض احبارها الأجلاء. وهو لا يسهو عن ان يُشعر باعترافهِ لهم بالرئاسة الكاملة فيدعو كنيسة رومية امّ جميع الكنائس ورأسها ويدعو احبارها رؤساء البيعة الجامعة واصحاب الكرسيّ الأوّل. بل اثبت ايضاً في كتاب الهداية قانون المجمع النيقاوي الوارد في هذا الصدد وهو قول الآباء: «ولتكن الكراسيّ البطريركية اربعة بعدد اربعة انحاء المعمور. امّا الرئاسة العظمى على هذه الكراسيّ فهي لرومية». ولابن العبري ملاحظات وتفاسير على قوانين المجامع لاسيّما أنّهُ اذا بطل بعض القوانين ينبّه على ذلك ولا تراهُ هنا فاه ببنت شفة وسكوتهُ شاهد على أنّهُ يقرّ بقوّة هذا القانون القديم ويسلّم بصحّتهِ. وهذا بعض من عدّ التقطناهُ من اعمال ابن العبريّ وفيه كفاية لمن طلب الهدى

ونختم هذه المقالة طالبين من مراحمهِ تعالى ان يزيل من بين الشعوب المسيحية كلّ خلاف وخصام ليرعوا المراعي الخصبة في حظيرة واحدة تحت رئاسة راعٍ واحد. فانّهُ المسيح المجيب

(انتهى)

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

ذكر الامير زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر بن عليّ امير الغرب

كان زين الدين من اشجع اهل زمانهِ واشدّهم بأساً ذا كرم وافر ومروءة زائدة (١

---

١) ورد في ذيل كتاب المؤلف ما نصّهُ: وموجب معاصرتهِ لجمال الدين وسعد الدين انّهُ

وهو الذي شيّد مجد البيت مع ناصر الدين الحسين ولو لم يكن ألا عمارتهما لكان لهما بها المجد الوافر

وقد وجدت بخطّ بعض السلف: حضر ابن ودود (كذا) وابن حاتم (١ الى الغرب وصحبتهما العساكر وجمعا عليه العشران من ولاية بعلبك والبقاعين فكسرهم اولاد امير الغرب ونهبوهم ثمّ امّنوهم وخلّوا سبيلهم وذلك بقرية عيتات اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة (١٢٥٩ م). وسمعتُ ممّن لهم دُربة باخبار الناس انّ زين الدين المذكور كان سبب كسرتهم ولهُ في هذه الكائنة شهرة كبيرة

(قلتُ) وهذه الكائنة حدثت في ايّام الناصر يوسف سلطان الشام والمُعزّ ايبك التركماني سلطان مصر (٢ كان بينهما خلف وحرب وكانت الفرنج بالسواحل (٣ والمظنون عليه انّ الشاميين كانوا قد نسبوا امراء الغرب الى المصريين فعملوا معهم ذلك. ومن الدليل (29 ʳ) على ذلك وجود المنشور الذي من المعزّ ايبك باسم سعد الدين خضر المقدّم ذكرهُ في ترجمة سعد الدين المذكور وقلنا انّ الفكر يتحيّر فيه لكون بيروت من الشام والمنشور مصريّ. وكان الناصر يروم اخذ مصر والمعزّ يروم قهر الناصر وبقي الامر بينهما على المنازعة حتى مشى بينهما نجم الدين البادرائي (٤ فاصلح بينهما واتّفقا على ان الشام الى العريش (٥ تكون للناصر والديار المصرية للمعزّ وذلك في سنة ثلاث وخمسين وستمائة (١٢٥٥ م). وقد تقدّم ذكر قتل المعزّ بمصر وقتل هولاكو للناصر. ثمّ استقرّ بعد المعزّ في مملكة مصر قطز (٦ ثمّ خرج قطز بالعساكر المصرية لقتال التتار

كان مولدهُ في اواخر ايّام ابيه وكان لهُ اخٌ يسمّى بحترًا سميّ جدّهِ وكان اكبر من زين الدين المذكور بسنين كثيرة لانهُ كان رجلًا يتصرّف لنفسهِ في سنة اثنتين وستمائة (حسب ما تقدم ذكر المكتوب) بنصف فدّان من رمطون والله اعلم. فزين الدين بن عليّ المذكور قد شُهر عنهُ انّهُ وُلّي بيتًا صغيرًا عند جمال الدين حجي وسعد الدين خضر ولدي محمّد بن محمّد فكان عندهما وتزوّج اختهما صادقة وسكن عرامون. وقد سبق ذكرهُ وبيّنّا عنهُ انهُ كان اصغر سنًّا من جمال الدين وسعد الدين والله اعلم

١) لم نطّلع على شيء من اخبارهما ٢) راجع ص ٥١٦ و ٥٦٥

٣) قال المؤلف في ذيل كتابهِ: «ولم أطّلع على موجب ذلك»

٤) لم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ

٥) العريش مدينة من اعمال مصر بقرب حدود الشام

٦) هو ثالث ملوك الترك في الديار المصرية. كان من مماليك المعزّ ايبك ورقي في دولتهِ

وسمعتُ ممَّن لهُ دُرْبَةٌ باخبار الاوائل بانّ زين الدين بن عليّ كان قد توجّه الى التتار لمّا استولوا على دمشق وكان كَتبغــا نويز (١ نائبًا عن هولاكو. فخاف زين الدين منهم وتوجّه اليهم اكتفاء من شرّهم. وكان جمال الدين حجي بن محمّد بن حجي قد تقدمهُ اليهم كما ذكرنا. فلمَّا بلغهما خبر قدوم قُطُز بالعساكر المصريّة تشاورا وحصل بينهما اتّفاق على ان يتوجّه زين الدين الى العسكر المصري ويقيم جمال الدين عند التتار بدمشق حتّى اذا انتصر احد الفريقين سدَّ المُنتصِر خلّة رفيقهِ وخلّة البلاد قصدهما بذلك اصلاح الحال.

فحضر زين الدين القتال الذي صار في عين الجالوت (٢ بين عسكر مصر والتتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثماني وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م). فانهزم التتار وتحصَّن منهم شرذمة (29) في ذروة الجبل. فكان زين الدين المذكور مع مماليك السلطان في حصار التتار وكان يرمي عن قوس قويّ فاعجب مماليكَ السلطان رميهُ وصاروا يقدّمون لهُ النشّاب من تراكيشهم (٣ ثمّ حضر قدّام السلطان وكان اشتهر مجيئهُ الى التتار فشهد لهُ مماليكُ السلطان رفقتهُ في حصر التتــار في ذروة الجبل بما فعلهُ فعفا عنهُ. وكانوا قد قدّموا بين يدي السلطان الملك المسعود صاحب الصُّبَيبة (٤ من ملوك بني أيوب وكان غير مشكور السيرة لموافقتهِ للتتار على الفساد فضُربت رقبتهُ

وذُكر عن زين الدين المذكور انَّهُ قال: واللهِ ما خفتُ في يومٍ اكثر منهُ. وذكروا عنهُ انَّهُ قال كان يوم الوقعة يوم عظيم وكان مع العسكر ثلاثمائة حمل طبلخانات لم يُسمع لدقّها صوت البتَّة لعظم صوت الضرب بالسلاح على القراقل (٥ والخُوَذ وصراخ الرجال.

ثمّ صار اتابك العساكر في ايّام الملك المنصور عليّ ابن المعزّ فلمَّا خُلع المنصور تسلطن قُطُز سنة ٦٥٧ (١٢٥٩ م) وتسمّى بالملك المظفّر وحارب التتار فتغلّبهم عند عين جالوت وفي بيسان. وقُتل بعد انتصارهِ بقليل قتلهُ الامير ركن الدين ظاهر بيبرس بموافقة الامراء بعد سنة لملكهِ

١) كتبغا هذا كان احد امراء هولاغو ملك التتار استنابهُ على البلاد الشاميَّة ثمّ قُتل سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) في عين جالوت لمّا ظفر المسلمون بالتتار. ويقال لهُ في كتب التواريخ كتبوغا نويز بك (راجع تاريخ ابن اياس الجزء الاوَّل ص ٩٨)

٢) هي مدينة صغيرة بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين

٣) التَّركَش فارسيَّة هي الجعبة

٤) نظن انَّهُ يريد الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان الأيوبي صاحب الصُّبَيبة وهي قلعة في شماليّ شرقيّ بانياس على ميلٍ منها

٥) لعلّهُ يريد بالقراقل الدروع. والقَرْقَل في الاصل قميص بلا اكمام

وكان للمذكور فرسٌ اهداهُ لهُ التتار حسن المنظر هائل الخبر ضخم القدّ قيل انَّ دَوْر حافرِهِ كان يبلغ ثلثة اشبار وأنهُ سبق خيولاً كثيرة

وعند عود الملك المظفَّر قُطز الى مصر قُتل وتسلطن بعدهُ الملك الظاهر بيبرس وذلك في السابع عشر من ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م) وبقي في السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة ايام واستناب جمال الدين آقوش النجيبيّ الصالحيّ (١ على الشام سنة ستين وستمائة (١٢٦٢ م) واستمرَّ في النيابة الى شهر ربيع الأوَّل سنة (٦٧٠) سبعين وستمائة (١٢٧٢ م) ثمَّ عزلهُ بعلاء الدين ايدكين الفخريّ الاستادار (٢

وفي ايام الظاهر بيبرس سُجن زين الدين بن عليّ المذكور وجمال الدين حجي بن محمَّد واخوهُ سعد الدين خضر بن محمَّد

روايةُ الشقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعيّ

(تابع لما قبلُ)

٩

ولَّما بلغوا اثينة وجد البارون غلافًا وردهُ بالبريد ففضَّهُ واذا فيهِ محرَّرات من وزارة الخارجية ولَّما قرأهُ بُهت مندهلاً اذ علم ان دولتهُ تاريةً ان تنصبهُ سفيرًا مرخَّصًا لدى حكومة بخارست

على أنَّهُ لم يتردَّد في امرهِ بل بادر للحال للاستقالة من هذا المنصب فرفع لحكومتهِ مفترَض الشكر والمنَّة لما لها من الثقة بهِ وصرَّح لها بما عزم عليهِ من الانقطاع عن الخطة السياسيَّة ومناصبها. اجل أنهُ عزم من الآن فصاعدًا على الانضمام الى اسرة ب. الكريمة مشاطرًا أياها حظَّها من الحياة وذلك لانَّ هذه الاسرة قد فتحت لهُ صدرها شأن الأمّ نحو ولدها بل عاملتهُ معاملة ابنٍ لها بالذات. ولذلك عقد النيَّة على الرجوع الى مدينة

١) هو الامير آقوش المار ذكرهُ (ص ٢٧٥)

٢) كان احد الامراء الكبار في مصر على عهد بني ايوب ولَّما تولى الملك نجم الدين أيوب قبض عليهِ واحتاط على موجودهِ. ثم اعتقهُ الظاهر بيبرس وولّاه نيابة الشام وكان الظاهر من جملة مماليكهِ سابقًا. لا نعلم سنة وفاتهِ

بيروت قصد ان يقضي فيها حياة منفردة مرددًا في ذهنهِ ما تُخطرهُ تلك المدينة على بالهِ من التذكُّرات

وأما علمت اسرة ب. ما كان طرأ على شرل من الهواجس وما شغل قلبهُ من الشواغل التي جعلتهُ ان يأبى المناصب الجليلة لينضمَّ اليها مدى الحياة تأثرت لحسن ودادهِ هذا وزاد انعطافها اليهِ فصارت منزلتهُ عندها منزلة الروح من الجسد

وقد علمتَ مما مرَّ بك ذكرهُ ان هذه الأسرة كانت قد احبَّت شرل محبة الآباء لابنائهم لما كان متصفًا بهِ من المحامد الفريدة. اما الآن فقد تعززت هذه المحبة بما يمازجها من الرجاء بمصاهرتهِ بل اصبح القنصل وزوجته يملِّقان على هذه المصاهرة خير اسرتهما ورغدهما وحسن حالهما في مستقبل الحين

اما سوسنة فان حبها لشرل كان يزداد ويكثر يومًا فيومًا بل امتزج الحبّ بنوعٍ من التجلة والتكرمة لذلك الشاب البالغ في نظرها مبلغًا ساميًا من الكمال. بل كانت تشعر انها هي ذاتها ترقى معارج الصلاح والكمال بمماسة نفسها نفسَ شرل تلك النفس الكريمة الشريفة الغنية بالفضائل السامية فنشأ في قلب سوسنة من جرّاء ذلك مطمع جديد ألا وهو ان لا تكون دونهُ فضلًا وكمالًا

اما البارون فكان يستغرق اوقاتهُ مهتمًا في الآثار القديمة وما يتعلق بها من المباحث. على أنهُ لما كان يرى ملازمة سوسنة لهُ بلطافة ووداعة وتأدُّب اخذ رويدًا رويدًا يعتاد النظر اليها كنظرهِ الى ملاك يقطر من يديهِ ندى التعزية والرجاء. بل اتصل بهِ الامر الى ان يرى فيها صورة حيَّة لخطيبتهِ وردة التي كان شحوب لونها يوافق تمام الموافقة ما في نفسهِ من حاسَّات الكآبة والحزن. فكان من ثمَّ ينظر اليها عن رضًى ويصغي بارتياح جملة ساعات الى كلامها بحيث أنهُ عند ما كان يتردَّد البارون عن قبول ما تعرضهُ الاسرة والاصدقاء من حضور حفلة انشراح او الذهاب الى النزهة كانت تتوسَّط سوسنة بالامر وكان النجاح دائمًا نتيجة وساطتها. لان شرل لم يكن ليأبى عليها اجابة طلب

ومجمل القول ان ذلك الاب الشهم بعد ان قضى مع أسرتهِ زهاء اربعة اشهر في عاصمة البلاد اليونانية ترويحًا للنفس عوَّل على الاياب وكان قد نزل في قلبهِ وقلب زوجتهِ شيء من التعزية والسلو بل قد لمت في عينهِ بارقة الآمال اذ رأى شرل وسوسنة متكاتفين لدى ركوبهما السفينة الماخرة عباب البحر ذهابًا الى بيروت

١٠

وكان سفرهم شهر حزيران على الباخرة «الزُّهَرة» التي تأخر موعد وصولها الى بيروت نحو نصف نهار شأن جميع سفن شركة اللويد النمساوية. على ان البحر لم يكن هائجًا ثائرًا لا تكاد ترى على بساطه الازرق غير جعودات يعقدها النسيم. لكنَّ ضباط سفن شركة اللويد النمسوية يُضرب المثل بحكمتهم وتحذرهم من الاخطار ولذلك كانت السفينة «الزهرة» تسير الهوينا مجتازة جزائر الارخبيل في اليونان قاطعةً على دِسْلها الرؤوس والخلجان الواقعة عند سواحل ازمير وقرمانية وسوريَّة. ولَمَّا انتهت الى بيروت دخلت مرفأها بعظمة ومهابة. وكان في ساريها الكبير راية تخفق مشيرةً الى ان في الباخرة قنصلًا او احد منصّبي السياسة

وقد بلغت الباخرة بيروت عند الهاجرة وكان القيظ مستمرًا والهواء حارًّا ساكنًا على أنَّهُ كان يتخلل ذلك السكون نفحات تهبُّ من مخانق لبنان ولكنها ما كانت لتصل بيروت ألا والحرارة الشديدة قد دبَّت فيها بحيث كان يخيَّل للناس أنهم يستنشقون لهبًا لا هواء. وكانت السماء صافية يمازج زرقتها هبَوات القيظ حتى كأن الجوّ يستعر استعارًا ويشعُّ نارًا

وكان ميزان الحرارة قد بلغ الدرجة السادسة والثلاثين في الظلّ وكان منذ الصباح آخذًا في الارتفاع دالًا على كون ذلك النهار ذا حرارة نادرة المثل من شأنها ان تقتل الانسان اختناقًا

وكان ماء البحر سخنًا جامدًا كأنهُ صفيحة مرآةٍ من الفولاذ الصقيل تنعكس فيهِ اشعَّة الشمس المحرقة كأنها سهام من نار اذا نفذت في العين ادركها العمى. اجل ان بيروت بقعة سورية الخضراء كانت في ذلك النهار فريسة للقيظ الشديد الذي اشتدّت وطأتهُ عليها حتى لم يبق لها الا أن ترتمي هزيلة جميعة على الرمل المحرق المحيط بها

وكان القرَاسون قد اقبلوا على الشاطئ منذ شروق الشمس بملابسهم الرسمية المزركشة بالذهب يتقدَّمون مأموري القنصلية وعددًا كبيرًا من الاصدقاء وجميعهم ينتظرون بذاهب الصبر قدوم المسيو ب.

امَّا السفينة «الزهرة» فانها القت مرساتها على مهلٍ وبعد ان جرت المعاملات الرسمية اللازمة دنت القوارب من السفينة وتعلقت بها. وعندئذٍ تصافح الاحباب والاصدقاء وتبادلت التهانئ بينهم. وكان وجه القنصل العام يتدفَّق بشرًا ويقطر لطفًا وهشاشةً والبارون

نفسهُ مع ما يتنازع قلبهُ من الهواجس لم يتمالك عن الابتسام والبشاشة. وبعد هنيهة من الزمن انطلقوا جميعهم قاصدين دار القنصلية

وكانت الأمّ لما آتاها الله من بُعد الرأي وحسن التدبير سبقت الجميع الى الدار لاتخاذ التحوّطات اللازمة التي أُثنيَ على اجرائها تحويلاً للمشاهد التي من شأنها اثارة الشجن. وكان اوّل ما طلب البارون عند صعوده درج الدار القنصلية ان يزور غرفة وردة وكان ابيّ مفتاحها معهُ. فاجابهُ الجميع الى طلبه برقّة ولطف واقبل عليهِ السيو. وناصره بجنان ابويّ مرافقًا أياهُ في هذه الزيارة المحزنة

ولما رأى شرل الباب مقفلاً شكر لضيفهِ انصياعهُ الى ما كان قد رغب فيه. وقال في ذاته: «انّ مقدسي لم يدنسهُ احدٌ أثناء غيابي وبناء على ذلك سأجد فيهِ البقايا المكرّمة والآثار الحبيبة لديّ على ما تركتها من الحال لدى تأمُّلي ايّاها المرّة الاخيرة»

وبينما كان يتكلّم هكذا اختلجت شفتاهُ وامتقعتا وابتسم ابتسامًا خالطهُ الحزن والكآبة ثمّ اندفقت الدموع من عينيهِ فكانت لها حجابًا شفّافًا. ثم فُتح الباب فما كاد البارون يرمي الى الغرفة بالنظر حتى ارتدّ الى الوراء مبهوتًا مذعورًا لانهُ لم يَرَ ما كان تركهُ في تلك الغرفة من عدم الترتيب وقلّة الانتظام كما كان يوم توارت وردة

فابدى هذا المشهد تنهّد البارون شديدًا وأنّ أنينًا يد انَّ رفيقهُ أسمعهُ من عذب الكلام ما سكّن منهُ جأشهُ وانشأ في نفسهِ شيئًا من الانتعاش

ثم شرع نظر البارون يجول في الغرفة متفقّدًا آثارها فوجد كلّ شيء على ما يُرام من الانتظام والانتساق فدلّهُ ذلك الترتيب على ان يد امرأة حسنة الذوق بارعة اللطف قد تداخلت في الامر فألبست تلك الغرفة من الرونق ثوبًا بهيًا بحيث ان كلّ ما فيها اضحى نظيفًا رائقًا يلمع بضوء شعاع الشمس

لحمل البارون يبحث عبثًا عن الخُفّين الحمراوين والقفّازات (الكفوف) المجعدة. ولكنّهُ لما لم يجد هذه الاشياء استولى على قلبهِ الحزن واليأس فوى بنفسهِ وقد أعياهُ التأثر والكآبة على مقعد في تلك الغرفة وهو منقبض الصدر تخنقهُ الحسرات... واذا بهِ قد سمع من قصاء الغرفة حفيفًا خفيفًا ثم ارتفعت الحجوف بلطافة وبدت سوسنّة مخملية متوشحة بملابس شقيقتها الزهراء. وفي قدميها خُفّاها الاحمران. فكانت على تلك الحال اشبه بشقيقتها من الماء بالماء حتى خُيّل للبارون أنهُ يرى خطيبتهُ عينها.... فصاح متلهفًا: وردة.... ثم تقدّم

مسرعاً اليها بلذةٍ والتي بنفسهِ فاقد الرشد بين ذراعي سوسنة وهو لا يستطيع ان ينطق ببنت شفة بعد تلفظهِ باسم وردة

وللحال بادر اليهِ مضيفوهُ يحسنون القيام عليهِ بانعطاف يمازجهُ الخوف وقد بذلوا كلَّ ما في الوسع لتسكين جأشهِ وارجاعهِ الى نفسهِ

١١

لمَّا كان مساء بعض ايام الخريف كنتَ ترى الشمس عند أفولها ترمي باشعَّتها الاخيرة على بيروت وتكسو قمم لبنان بحلل بهيَّة تخالها من لون الورد والارجوان. وكان في المرفا عدَّة سفن من كبار البواخر تهتزُّ اعطافها لحركة مياه البحر تثيرها الريح الشمالية. فمن كان يسرح نظرهُ في تلك مشاهد الطبيعة وجد نفسهُ تائقةً الى التخلّي من هموم الحياة مجذوبةً الى المذيذ في الخالق واعتبار المخلوقات

وكان على باب المسيو ب. عربتان ركب احداهما القنصل الجنرال وزوجتهُ المتردّية بملابس الحداد مع خادم وجارية. امَّا الاخرى فاصعدوا فيها رجلًا كهلًا فاقد الرشد ممسوس العقل جلس على جانبيهِ لمناظرتهِ طبيبٌ وفتاةٌ يحجبُ اصفرارَها برقعٌ اسود. والمصاب ببصيرتهِ كان البارون دي لينس نفسهُ واماَّ الفتاة فكانت سوسنة ابنة القنصل ب.

وذلك انَّ شرل كان لدى نظرهِ لسوسنة وهي متَّشحةٌ بثياب خطيبتهِ وردة أُصيب بدهش وحيرة عملا في عقلهِ فخبل. ولمَّا بقيت كل الوسائط المتَّخذة في بيروت لعلاجهِ غير ناجعةٍ مدَّة شهرين وطّد القنصل عزمهُ على نقلهِ الى ڤينة ليعالجهُ هناك بعض نطاسي الاطباء النمسويين (ستأتي البقية)

شَذَرَات

كيف تمنع الماء والرطوبة ان ينفذا الاحذية

يؤخذ لذلك الجلدُ في حالة يبوستهِ فيُحمى قليلًا ثم يُطلى بمزيج يتركَّب من ٥٠ قسماً من شحم الغنم و٤٩ قسماً من زيت الكتَّان ومن قسم واحدٍ من التربنطين بعد تذويب المزيج

طلاء لتجفيف الجدران الرطبة

ان اردت تجفيف الحيطان الرطبة فاطلها بمزيج يدخل فيهِ ليتر واحد من الكلس المنحول المُطفأ حديثًا مع ليتر آخر من الملح العاديّ واربعة من الماء فيُغلى المزيج وتنزع عنهُ رغوتهُ ثمّ يزاد فوق كلّ ليتر من المزيج المغليّ عشرين غرامًا من الشبّ وعشرة من سلفات الحديد المنعَّم وخمسة عشر من البوتاس ومائتين سنتيمتر مكعَّب من الرمل الناعم او من رماد العظام ثمّ يحرَّك المزيج بهدوء ويُطلى بهِ

قائمة

لطول السكك الحديديَّة في العالم كلِّهِ في آخر سنة ١٨٩٧

		كيلومترات	المجموع
اميركة	الولايات المتحدة	٢٩٤,٠٨٨	٣٧٤,٧٤٢
	باقي اميركة	٨٠,٦٥٤	
اوربة	المانية	٤٧,٣٤٨	٢٥٧,٢٠٣
	فرنسة	٤١,١٧٣	
	روسية	٣٨,٦٤٢	
	انكلترة	٣٦,٢٢١	
	النمسة	٣٢,١٨٠	
	باقي الدول	٥٣,٦٤٠	
آسية		٤٥,٨٨٣	٤٥.٨٨٣
اوسترالية		٢٢,٣٧٢	٢٢,٣٧٢
افريقية		١٤,٧٩٨	١٤,٧٩٨
	مجموع الكلّ		٧١٤,٩٩٨

لغز رياضي وُجد على قبر ديوفنت

كان ديوفنت هذا من مشاهير الرياضيين في الاسكندرية واشتهر في القرن الثاني للميلاد قيل انهُ هو الذي وضع علم الجبر. فوجد على قبرهِ ما نصهُ.

« اعلم ايها القارئ انَّ تحت هذه الصفيحة جثّة ديوفنت وان احببتَ ان تعرف كم سنةٍ صرف في الحياة فاعلم انَّ صباهُ سُدْسُ هذه السنين وشبابهُ يوازي القسم الثاني عشر منها وقد اقترن بالزواج في سابع قسم عمرهِ فولد لهُ ابنٌ بعد ذلك بخمس سنوات لكنَّهُ

تضى نحبهُ لما بلغ نصف عمر والدهِ فأثّر ذلك في قلب ابيهِ تأثيرًا بليغًا أدّى بهِ بعد اربع سنين الى لحدهِ. فما تقدّم يمكنك الوقوف على سني حياتهِ»

وسنأتي بحلّ هذا اللغز الرياضيّ في عدد قادم. وان احبّ بعض القرّاء ان يحلّهُ ذكرنا اسم مَن سبق الى حلّهِ

كتب شرقية جديدة

كتاب سبيل الصلاح

للسيّد الجليل جرمانوس معقّد مطران اللاذقيّة

طبع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٨ عدد صفحاتهِ ٢٥٨

لا تمرّ سنة واحدة دون ان تنبئنا المجلّات الدينيّة الاوربية عن تصانيف عديدة في كلّ ابواب المواعظ والخطابات الدينية. وليس الامر كذلك في بلادنا فانّ مجاميع العظات الروحية قليلةٌ في اللغة العربية لا تكاد اذا عُدّت تتجاوز عدد الانامل. ولا يخفى ما يترتّب على قراءة مثل هذه التآليف من المنافع الجمّة ليس فقط للمؤمنين لمعرفة دينهم بل ايضًا لطلبة الخطابة الدينية ليقوموا بهذه المهنة الجليلة حقّ القيام من حيث توسيع المعاني وعبارة الانشاء. فيأخذوا هذه الصناعة الشريفة ممّن اتقنها في بلادهم ولغتهم. والحقّ يقال انّ الكتاب الذي وضعهُ سيادة المطران الجليل جرمانوس معقّد يسدّ شيئًا من هذا الخلل فضلًا عن أنهُ نهج للمؤمنين بما يتضمّنهُ مع الخطب الجليلة ما توعّر من «سبيل الصلاح»

امّا المواضيع التي آثرها سيادتهُ لغذاء نفوس المؤمنين وارشادها فيشتمل عليها عشرون خطابًا القاها هذا الراعي الغيور في اثناء الصوم المبارك مدّة السنتين ١٨٩٦ و١٨٩٧ في كنيسة دمشق الكاتدرئيّة للروم الكاثوليك. وقد بحث سيادتهُ في السنة الاولى عن شرف الانسان والتجارب وعبادة الله والموت وتأخير التوبة والفردوس. ثمّ تابع في السنة الثانية كلامهُ «عن احوال الجنس البشري الادبية منذ سقطة آدم حتى الطوفان ومنهُ حتّى مجيء الفادي ثم افاض في شرح سرّ التجسّد الالهي وبيان اهم تعاليم الربّ المتجسّد على منوال تستفيد منهُ النفوس رسوخًا في الديانة واقبالًا على الفضيلة» (ص ١١٤). وآخر هذه الخطب تأبين جزيل المعاني طافح بالعواطف الوديّة البنويّة فاه بهِ المؤلف المصقع في

حفلة جنّاز الطيّب الذكر غريغوريوس بطريرك الروم عدَّد فيهِ اعمال هذا الحبر الجليل الجمّ مآثرهُ تنطق هي بمدحهِ

امّا طريقة سيادة المطران جرمانوس الخطابية فيجوز ان ننعتها بما نعت هو في رثائهِ الفقيد المثلّث الرحمة حيث قال «وكان في براهينهِ من السداد وقوّة الاقناع ممّا يشير الى كونهِ فيلسوفًا كبيرًا ثاقب الذهن» (ص ٢٥٢) ونزيد انهُ ايضًا لاهوتيٌّ ضليع كثير الاطّلاع على الكتاب الكريم واعمال الآباء التي يحسن الاستشهاد بها وهو مع ذلك سهل اللهجة سلس العبارة كثير التفنن في اساليب الكلام. فنشكر سيادة مطران اللاذقية عن هذا العمل الخطير ونتمنى ان يعضدهُ الربّ في حسن مشروعهِ هذا كي يواصل هذه العظات سنين عديدة لمجد الله وخير النفوس ه. ل

METODO E SISTEMA SCIENTIFICO

DEL VEN. GIOVANNI DUNS SCOTO.

في اسلوب اللاهوتيّ الشهير دُنس سكوت وطريقتهِ العلميَّة

Studi del P. L. da Motta di Livenza O. M.

طُبعت هذه المقالة المفيدة باللغة الايطالية في مطبعة حضرة الآباء الفرنسيسيّين في القدس الشريف. غايتها ايضاح طريقة احد أئمّة الرهبانية الفرنسيسية في تآليفهِ اللاهوتية

ولا يخفى انَّ جمًّا غفيرًا من مشاهير علماء هذه الرهبانية كاسكندر دي هالس والقديس بوناونتورا وروجار باكون برَّزوا في مصافّ اللاهوتيين فاحرزوا لهم بتآليفهم ذكرًا مخلدًا الّا انَّ دُنس سكوت المذكور بدقَّة مباحثهِ وبُعد غور افكارهِ السامية لم يحظَ بعد بما استحقَّهُ من المرتبة العليا بين ارباب اللاهوتيّين مع انَّهُ زمام الطريقة اللاهوتية المعروفة بالطريقة الفرنسيسية. وهذا ما حمل حضرة الاب موتّا على وضع هذا الكتاب لتعريف ذاك الرجل العظيم. وقد زعم المؤلف (ص ٩) ان ما يختص بهذه الطريقة الفرنسيسية انّما هو اتباعها لتعاليم افلاطون. ولعلَّ في ذلك بعض المبالغة لا يرضى بها كلّ ابناء القديس فرنسيس نفسهم. وعلى كلّ حال انّنا نتمنَّى ان تنشّط هذه المقالة في قلوب كثيرين درس تآليف دُنس سكوت الجليلة مع ابداء رجائنا ان تُعاد طبعة كتبهِ وهي الآن في غاية الندورة

وقد خُتم هذا الكتاب بعدّة قصائد في اللغتين الايطالية والفرنسية في مديح دُنس سكوت من نظم بعض الآباء القُدّسيين ل. ش

أسئلة وأجوبة

س سألنا من المنصورة الخواجا قيصر شلفون من هم اصحاب كتب اللغة (المعجمات) في السريانيَّة متقدّمين كانوا او متأخرين ومن اي زمان جمعوا كتبهم وكيف وعمَّن اخذوا اللغة. وهل طبعت كتبهم ام لم تطبع بعد ومن هو الاكثر ثقة منهم واوسع روية

المعجمات السريانية

ج اقدم ما ذُكر للسريان من المعجمات كتابٌ لحنين بن اسحق المتوفَّى سنة ٨٧٣ م وكتابهُ قد فُقد. ثمَّ اتى بعدهُ عيسى المروزيّ (+ ٩٤٠) فصنَّف معجماً آخر اخذتهُ ايضاً يد الضياع. ثم عقبهما بعد قليل عيسى بر علي فكتب معجمهُ الذي طبع منهُ نصفهُ المعلّم هوفمان في ليبسيك. وقد اشتهر بعدهُ في اواخر القرن العاشر الاسقف حنَّان يشوع بر سروشوي. الَّا انَّ المبرّز في هذا الفنّ كان ابا الحسن عيسى بر بهلول وهو معاصر لبَرَ سروشوي واخذ عن كلّ من سبقهُ فجمع كتاباً مطوَّلاً قام بطبعهِ المعلّم روبنس دوڤال الشهير في باريس وهو على وشك نجازهِ. وقد كتب جرجس الكرمسداني في القرن الثامن عشر معجماً ضخماً لم يطبع حتى الآن. امَّا المعجمات السريانية التي نشرها الاوربيون بالطبع فهي اكثر من ان تحصى نخصّ منها بالذكر معجم كستلي وقاموس پين سميث وهو ادقّ واكمل ما وُضع من هذا القبيل لم ينقص لتمامهِ سوى حرفهِ الاخير. ومنذ سنتين قد أُنجز قاموسان سريانيَّان لاتينيَّان احدهما في مطبعتنا لحضرة الابَ يوسف برون اليسوعي وهو معجم مدرسيّ شامل والآخر للدكتور بروكلمان الالمانيّ طبع في برلين

س سألنا من المنيا جناب الخواجه واصف قركار — ١ً هل يوجد شجرة مرسوم في زهرها رسم آلام المسيح — ٢ً هل تزيد قامة الانسان في الليل وتقصر في النهار

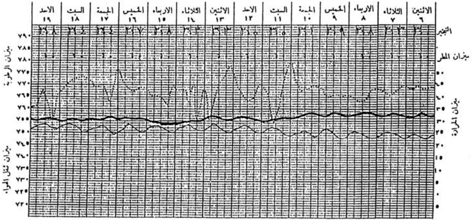
زهر الآلام

ج نجيب اوَّلاً انهُ يوجد صنف من الزهور يُدعى عند البساتين زهر الآلام (passiflore) انواعهُ تربي على الخمسين نوعاً دعي بذلك لانَّ فيهِ بعض التشابُه بآلات آلام المسيح كالمسامير واكليل الشوك وغير ذلك

قامة الانسان

نجيب ثانياً انهُ قد تحقق بالاختبار انَّ قامة الانسان اقصر ببعض ملمترات في النهار منها في الليل وذلك ينتج عن تحامل ثقل الجسم على بعضهِ في النهار ل. ش

قائمة للآثار الجوّية   من ٦ الى ١٩ حزيران ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالمليمترات وعُشر المليمترات